مجلة الشريعة والدراسات الاسلامية

المجلد : 22 العدد : 70 September 2007

الإتجاهات الحديثة للمستشرقين ومن تابعهم في تفسير القرآن الكريم

د. محمد بن سعيد السرحاني (*)

(*) أستاذ مساعد بكلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى - مكة المكرمة.

ملخص البحث:

لم تتسم أبحاث المستشرقين في مجال التفسير بالعمق العلمي، بل غلب عليها السطحية والجهل بأصول البحث قي أصول التفسير، وظهر فيها أثر خلفياتهم العدائية للإسلام، حيث يصور المستشرقون الفرق المنحرفة والخارجين عن الإسلام المثل الأعلى للإسلام، وينسبون آراءهم الضالة إلى الإسلام، كذلك فهم يصورون الخلافات في التفسير بين الفرق خلافاً واضطراباً في الشريعة الإسلامية، بل اضطراباً وتناقضاً في القرآن نفسه - على حد زعمهم - وهم شديدو الاحتفاء بالدعاوى الباطلة والمنحرفة، ومن جملة شغبهم: وتضليلهم أن دراساتهم الحديثة بدأت تدعو إلى دراسة القرآن الكريم دراسة أدبية، حيث تطبق مناهج النقد الأدبي في دراسة القرآن الكريم، دون الالتفات إلى قداسة كتاب الله تعالى. وقد دعا أصحاب المدرسة الاستشراقية المتأثرة بالاستشراق إلى إخضاع تفسير القرآن الكريم لمناهج التحليل في العلوم الإنسانية.

إذا كان عداء المستشرقين واضحاً وجلياً في مواقفهم من الإسلام، فإن خطورة من سار على نهجهم من تلامذتهم ممن ينتسبون للإسلام أشد خطراً وأكثر أثراً، وقد حاول أتباع المدرسة الاستشراقية الحديثة استخدام أساليب ملتوية في الطعن في كتاب الله تعالى، زاعمين حمل لواء التجديد في التفسير والفهم لكتاب الله تعالى، مدعين الوصول إلى مناهج جديدة في التفسير والتأويل لم يصل إليها أحد من قبلهم، ناقمين على مناهج المستشرقين، وهم - في حقيقة أمرهم - لم يخرجوا عن منهج المدرسة الاستشارقية كثيراً، وإنما يرددون ما سمعوههم ودرسوه عليهم.

والواجب ثقيل على علماء المسلمين، إنهم مطالبون للتصدي لهذه الحملات المغرضة وبيان زيفها.

مقــدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلق الله نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين، وبعد:

كان جل اهتمام المستشرقين في دراستهم للإسلام دراسة القرآن الكريم وكل ما يتعلق به بقصد الطعن فيه والتشكيك في مصداقيته، وكان ميدان التفسير من المجالات التي كتب فيها المستشرقون كتابات نقدية، تركزت تلك الدراسات على الطعن في كتب ومناهج التفسير، بالمأثور من كتب أهل السنة مقابل تمجيد الاتجاهات المنحرفة في التفسير كتفسير الفرق المنتسبة للإسلام زاعمين اكتشاف مناهج جديدة في تفسير القرآن الكريم لم يصل إليها علماء السلف من قبلهم.

وسار على نهجهم عدد من مدعي العلم والفكر من المسلمين ممن نادوا بقراءة جديدة للقرآن الكريم، وتأويلات حديثة لكتاب الله تتوافق – على حد زعمهم – مع مقتضيات العصر، ومسايرة المناهج الحديثة للعلوم الإنسانية والاجتماعية. وقد جاوزت هذه الفئة المستشرقين في طعنهم في كتاب الله تعالى، ونقدهم لمناهج سلف الأمة في تفسير كتاب الله تعالى، وهذا ما سيتجلى لنا من خلال ما نعرضه من موقفهم من كتاب الله تعالى، ومن مناهج التفسير في هذا البحث، ونسأل الله تعالى أن يكون جهدنا في هذا البحث مساهمة علمية في سبيل الدفاع عن كتاب الله تعالى وتجلية لمزالق المستشرقين وانحرافات من تبعهم من أبناء المسلمين.

وقد قسمت هذا البحث إلى تمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة، على النحو الآتي:

- **التمهيد:** نبذة عن مراحل تفسير القرآن الكريم وتاريخ الحركة الاستشراقية، وفيه فصول:
- **الفصل الأول:** الاهتمامات الاستشراقية بالدراسات القرآنية.
- **الفصل الثاني:** الموقف الاستشراقي من التفسير ونقده
- **الفصل الثالث:** موقف المتأثرين بالفكر الاستشراقي من القرآن الكريم وتفسيره
- **الخاتمة:** وتشمل أبرز النتائج والتوصيات.

سائلاً المولى عز وجل أن يلهمنا الصواب، وأن يجنبنا الزلل، وأن يرد كيد الطاعنين في كتاب الله تعالى في نحورهم.

التمهيد:

نبذة عن مراحل تفسير القرآن الكريم
وتاريخ الحركة الاستشراقية

أولاً: مراحل تفسير القرآن الكريم:

مر تفسير القرآن الكريم بمراحل عدة، منذ عهد الرسالة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا، وجاءت السنة النبوية مفسرة لما أبهم، ومفصلة لما أجمل في كتاب الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾. [النحل: ٤٤].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «يجب أن يُعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم بيَّن لأصحابه معاني القرآن، كما بين لهم ألفاظه، فقوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ يتناول هذا وهذا»[(١)].

ويقول الشيخ ابن عثيمين في شرحه لكلام شيخ الإسلام: «وكذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة: ١٩]، يتضمن هذا وهذا؛ أي: بيان لفظه وبيان معناه»[(٢)].

وكان من حرص الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على فهم كتاب الله تعالى: أنهم إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل[(٣)].

ولقد كان فهم الصحابة لمعاني القرآن الكريم فهماً ميسراً وجلياً، لم يُشْبه الغموض؛ وذلك لمعايشتهم لأسباب النزول، ولإيمانهم وتصديقهم لآيات الله تعالى، وعدم خوضهم أو سؤالهم عن المتشابه في القرآن الكريم، وكان هذا هو

---

(١) مقدمة في أصول التفسير، ص٣٥.
(٢) شرح مقدمة التفسير، ص٢٢.
(٣) ينظر: مقدمة في أصول التفسير، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص٣٦.

حال الصحابة رضوان الله عليهم، والصدر الأول من عهد التابعين رحمهم الله أجمعين.

وإن كان اهتمام الصحابة والنزاع بينهم في التفسير أقل ممن جاء بعدهم؛ فلأن القرآن نزل بلغتهم التي سلمت من الدخيل، وكانوا أفهم الناس لمعانيه؛ ولقلة الأهواء فيهم وسلامة قصدهم[١].

ولكن بعد انتشار الإسلام خارج الجزيرة العربية، ودخول أناس في الإسلام من غير العرب، وكثرت الأهواء والفتن، كانت الحاجة إلى علم التفسير ملحة، لبيان ما أبهم على من لم ينزل القرآن بلغتهم.

إن قولنا بعدم انشغال الصحابة رضوان الله عليهم بالتفسير - للأسباب السابق ذكرها - لا ينفي وجود عدد منهم رضوان الله عليهم اشتهروا بتفسير كتاب الله، فقد اشتهر منهم ما يقارب العشرة، كان من أبرزهم الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم، وحبر الأمة وعالمها ومفسرها عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، وعبدالله بن مسعود وأبي بن كعب وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبدالله بن الزبير، رضوان الله عليهم جميعاً[٢].

وتتلمذ على يد هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً طائفة كبيرة من التابعين، وكان أشهر المدارس التفسيرية في هذه الفترة:

- تلاميذ مدرسة عبدالله بن عباس رضي الله عنهما في مكة المكرمة.
- ومدرسة أبي بن كعب رضي الله عنه في المدينة المنورة.
- وتلاميذ مدرسة عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في الكوفة.

وظل التفسير في هذه المرحلة محتفظاً بطابع التلقي والتثبت في النقل والرواية، ولكن بعد كثرة دخول أهل الكتاب في الإسلام، وبروز النزاع بين الفرق المنتسبة للإسلام في عهد التابعين بدأت ما يسمى بظاهرة الروايات

---

(١) شرح مقدمة التفسير، ص٢٦.
(٢) التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، ١/ ٤٤.

الإسرائيلية تدخل في التفسير، مع دخول التأويلات المنحرفة في كتب الفرق المنتسبة للإسلام؛ مناصرة لعقائدها الباطلة.

ولم يكن التفسير مستقلاً عن الحديث في التدوين، إذ كان باباً من الأبواب التي اشتمل عليها الحديث، وكانت بدايات انفصال التفسير عن الحديث في التصنيف على أيدي طائفة من العلماء، منهم: ابن ماجه المتوفى ٢٧٣هـ، وابن جرير الطبري المتوفى ٣١٠هـ، وأبو بكر بن المنذر النيسابوري المتوفى سنة ٣١٨هـ، وغيرهم من أئمة هذا الشأن(١).

ويُعد كتاب الطبري رحمه الله في التفسير من أشهر كتب التفسير بالمأثور، وكان من منهجه رحمه الله ذكر الروايات بالإسناد؛ ليسهل على من أراد التثبت من تلك الروايات تمحيصها وتطبيق منهج المحدثين في نقدها.

ثم انتقل التفسير بعد ابن جرير الطبري رحمه الله إلى مرحلة جديدة اختصر فيها المفسرون أسانيد روايات التفسير مما أضعفت من القدرة على تمحيص ونقد تلك الروايات.

ثم ظهر بعد ذلك ما يسمى بالتفسير بالرأي المذموم؛ لتأييد المذاهب المنحرفة، والتعصب المذهبي؛ كتفاسير الشيعة، والخوارج، والصوفية، والمعتزلة.. وغيرها. وهذه التفاسير هي التي عني بها المستشرقون كثيراً، وعملوا على الإعلاء من شأنها وسنتعرف على موقفهم من التفسير في هذا البحث بإذن الله تعالى.

ثانياً: تاريخ الحركة الاستشراقية

الاستشراق تعريب للكلمة الإنجليزية Orientalism مأخوذ من الاتجاه إلى الشرق.

وكلمة الاستشراق مشتقة من (شرق)، "يقال شرقت الشمس شروقاً، إذا

---

(١) محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ١/٩٧ – ٩٨.

طلعت"[١]، وهي تعني مشرق الشمس، وترمز إلى مجال الاهتمام بهذا الحيز المكاني من الكون، وهو الشرق.

واصطلاحاً: اتجاه فكري يُعنى بدراسة الإسلام والمسلمين، ويشمل ذلك كل ما يصدر عن الغربيين من دراسات تتناول قضايا الإسلام والمسلمين، في العقيدة والسنة والشريعة والتاريخ وغيرها من مجالات الدراسات الإسلامية الأخرى.

نشأة الاستشراق وتطوره:

اختلف الكُتَّاب من مسلمين وغير مسلمين حول تحديد نشأة الاستشراق وذُكر في ذلك أقوال عدة، منها:

من الباحثين: من يحدد نشأة الاستشراق بظهور الإسلام، وما وقع من جدل وحوار بين المسلمين وأهل الكتاب، ومحاولات اليهود والنصارى التشكيك في عقيدة المسلمين، وفي معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم[٢].

وترسخ هذا الجدل بما كتبه "يوحنا الدمشقي" - في بداية القرن الثاني الهجري - من رسائل لمحاورة المسلمين ونصرة إخوانه من النصارى في تلك الفترة[٣].

ومنهم: من يحدد نشأة الاستشراق بالفتح الإسلامي للأندلس في بداية القرن الثامن الميلادي، إذ شهدت جامعات أشبيلية، وقرطبة، وغرناطة، إقبالاً كبيراً من الأوربيين؛ لدراسة الحضارة الإسلامية، وخصوصاً مع ازدهار حركة ترجمة الكتب العربية إلى اللغات الأوربية في تلك الفترة[٤].

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٩٦٠م، ١/٤٨٢.
(٢) محمد حسيني أبو سعدة، الاستشراق والفلسفة الإسلامية، ط١، ١٩٩٥م، ص٣٥.
(٣) ينظر: السيد أحمد فرج، الاستشراق: (الذرائع - النشأة - المحتوى)، دار طويق للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ص٤٨.
(٤) ينظر: أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص٦٧.

أما من حدد القرن العاشر الميلادي بداية للاستشراق فأرجعوا ذلك إلى تزايد اهتمام الغرب باللغة العربية وآدابها، وتزايد الاهتمام بحركة الترجمة، وكان من أبرز من اهتم بهذا الاتجاه: الراهب الفرنسي "سلفستر الثاني" الذي درس في الأندلس، ثم تقلد منصب البابوية عام ٩٩٩م، وأوصى بفتح المدارس وبترجمة التراث الإسلامي إلى اللغات الأوروبية(١).

ويحدِّدُ المستشرق الألماني "رودي بارت" القرن الثاني عشر الميلادي البداية الفعلية للاستشراق مع ظهور أول ترجمة لاتينية للقرآن الكريم بتوصية من "بطرس" الملقب بالمحترم الذي زار الأندلس، وأوصى بإصدار أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللاتينية عام ١١٤٣م(٢).

وتُعَدُّ الحروب الصليبية مع بداية القرن الثالث عشر الميلادي من البدايات القوية لظهور حركة الاستشراق(٣).

ويحدد عدد من الباحثين البداية العلمية لظهور حركة الاستشراق بانعقاد مجمع "فيينا" عام ١٣١٢م الذي أوصى بإنشاء كراسي اللغة العربية في جامعات "أكسفورد"، و"كامبردج"، و"بولونيا"، و "روما"، و"السربون"(٤).

ويُعَدُّ القرنان التاسع عشر والعشرين عصري الازدهار الحقيقي للحركة الاستشراقية، إذ ظهرت في هذين القرنين الجمعيات الاستشراقية التي نشطت في إصدار المجلات والمطبوعات الاستشراقية، وشهد القرن التاسع عشر بداية المؤتمرات الدولية للمستشرقين، إذ عقد أول مؤتمر دولي عام ١٨٧٣م(٥).

مع اختلاف الكتاب من المسلمين والمستشرقين في تحديد البدايات الأولى

---

(١) ينظر: العقيقي، المستشرقون، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١/ ١١٠.
(٢) ينظر: الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ص١١.
(٣) ينظر: محمد عبد الله الشرقاوي، الاستشراق، ص٢٧.
(٤) ينظر: إدوارد سعيد، الاستشراق، مرجع سابق، ص٨٠.
(٥) ينظر: محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص٥٠.

لحركة الاستشراق إلا أن الرأي الذي نذهب إليه أن الاستشراق بدأ مع ظهور الإسلام - وإن لم يحمل هذا المسمى في ذلك الوقت - وازداد في الظهور والانتشار عبر العصور حتى يومنا هذا، مع تنامي الهجمات الغربية الاستشراقية والتشويه المتعمد للدين الإسلامي عبر وسائل الإعلام المختلفة في هذا العصر.

الفصل الأول

الاهتمامات الاستشراقية بالدراسات القرآنية

تنوعت الاهتمامات الاستشراقية بالدراسات الإسلامية بعامة وبالدراسات القرآنية والتفسير بصفة خاصة، واتخذت مسارات عدة، يأتي في مقدمتها:

جهود المستشرقين في حفظ وتصنيف المخطوطات الإسلامية، وقد ذكر فؤاد سزكين عدداً من المخطوطات المتعلقة بعلوم القرآن والتفسير المحفوظة في المكتبات الأوروبية(١).

ومن الاهتمامات والجهود الاستشراقية المتعلقة بالقرآن الكريم وعلومه: جهود المستشرقين في تحقيق ونشر كتب التفسير وعلوم القرآن الكريم، كتحقيق:

- أسرار التأويل وأنوار التنزيل للبيضاوي، تحقيق المستشرق الألماني "فرايتاج".
- والكشاف للزمخشري، تحقيق المستشرق الإنجليزي "ناسوليز".
- والإتقان للسيوطي، نشر المستشرق النمساوي "شبرنجر".

ولم تخل أهدافهم في معظم تحقيقهم للكتب الإسلامية من الأهداف المشبوهة بتركيزهم على الكتب الشاذة في مجالها، كتحقيق المستشرق الألماني "برجشتراسر" لكتاب: القراءات الشاذة في القرآن لابن خالويه، وكتحقيق كتاب المصاحف لابن أبي داود، وإبراز الروايات الشاذة في كتاب الإتقان للسيوطي(٢).

---

(١) ينظر: تاريخ التراث العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، نقلاً عن: بسام داود عجك، التراث الإسلامي والاستشراق، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، العدد السابع، ١٩٩٠م، ص١٩٩ - ٢٠٠)

(٢) ينظر: محمد عوني عبدالرؤوف، جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٤م، ط١، القاهرة، ص٣٤٩ - ٣٦٦. وعبدالله الصديق، الإحسان في تعقب الإتقان، دار الأنصار، القاهرة.

وقد بين عدد من المؤلفين الأهداف المشبوهة للمستشرقين في تحقيق ونشر الكتب الإسلامية[1].

وأما في مجال المؤلفات الاستشراقية في علوم القرآن الكريم فنذكر الكتب والأبحاث الآتية:

- (التطور التاريخي للقرآن)، إدوارد سيل، مدراس، الهند، ١٨٩٨م.
- (مدخل تاريخي نقدي إلى القرآن) للمستشرق الألماني جوستاف فايل.
- (تاريخ القرآن) للمستشرق الفرنسي "بوتيه".
- (تاريخ النص القرآني)، للمستشرق الألماني نولدكه[2].
- و(تاريخ القرآن) للمستشرق الفرنسي "ريجس بلاشير".
- و(تاريخ القرآن) للمستشرق الألماني براجشترسر[3].
- (القرآن)، فلهاوزن، مقال بالمجلة الشرقية الألمانية عام ١٩١٣م.

ومن الأبحاث والمؤلفات الاستشراقية في مجال التفسير:

- بحث المستشرق الألماني "فيشر" بعنوان: (تفسير القرآن)[4].
- وبحث "لريتشارد هارتمان" الألماني بعنوان: (تفسير القرآن)[5].

---

(١) ينظر: عبدالعظيم الديب، المستشرقون والتراث، مكتبة ابن تيمية، المحرق، البحرين، ط١، ١٤٠٦ - ١٩٨٦م، ص٢٦.
وينظر: عبدالستار الحلوجي، جهود المستشرقين في مجال التكشيف الإسلامي، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد ٦، ١٣٩٦/ ١٩٧٦م، ص٧٢٨ - ٧٣٠، ومالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، طبعة الرشاد، بيروت، ١٩٦٩م. وعائشة عبدالرحمن، تراثنا بين ماض وحاضر، دار المعارف، مصر.

(٢) ينظر: رودي بارت، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، مرجع سابق، القاهرة، ص٢٦.

(٣) المرجع نفسه، ص٤٠.

(٤) العقيقي المستشرقون، ٣/٥٣٥.

(٥) المرجع نفسه، ٣/٥٣٦.

- و(القرآن مفسراً) للمستشرق الإنجليزي "آربري"[١].

وبحوث جديدة في نظم القرآن وتفسيره للمستشرق الإنجليزي "هوشفيلد"[٢].

ومن اهتمامهم بكتب وتفاسير الفرق المنحرفة ومؤلفاتهم في هذا الجانب:

- كتاب (شرح المعتزلة للقرآن) للمستشرق الإيطالي "جويدي"[٣]،
- و(القرآن في نظر الإسماعيليين) للمستشرق الروسي "سيمينوف"[٤]،
- و(تفسير القرآن واللغة الصوفية) للراهب اليسوعي "نويا"[٥].
- ويبقى الأكثر شيوعاً في هذا المجال كتاب: مذاهب التفسير الإسلامي للمستشرق المجري جولد تسهير[٦].
- وللمستشرق الفرنسي "هنري كوربان" عناية خاصة بتفسير الفرق الباطنية.
- والمتتبع لإنتاج المستشرقين في هذا المجال يجدهم يُعلون من شأن التفسير الشاذ الخاص بالفرق المنتسبة للإسلام[٧].
- ولا يخفى تمجيدهم للاتجاهات الحديثة في تفسير القرآن الكريم ومن ذلك: كتاب المستشرق الفرنسي "جاك جو مييه"، (الاتجاه الحديث لتفسير القرآن بمصر)[٨].
- وكتاب المستشرق الهولندي "يانش" (تفسير القرآن في مصر الحديثة)[٩].

---

(١) المرجع نفسه، ٣/ ٥٣٤.
(٢) عمر إبراهيم رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن، ٢/ ٢٢١.
(٣) العقيقي، المستشرقون، ٣/ ٥٣١.
(٤) المرجع نفسه، ٣/٥٣٨.
(٥) المرجع نفسه، ٣/ ٥٤٠.
(٦) ينظر: رودي بارت، الدراسات العربية، مرجع سابق، ص٣٠.
(٧) ينظر: عبدالرزاق هرماس، تفسير القرآن الكريم في كتابات المستشرقين، مجلة البحوث الإسلامية، إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، العدد ٦٧، ص١١١، ١١٢.
(٨) عمر إبراهيم رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، ٢/ ٢٢٠.
(٩) العقيقي، المستشرقون، ٣/٥٣٨.

ومن الكتب والأبحاث المتعلقة بالقصص القرآني:

التي تركز - على حد زعمهم - على الطعن في ربانية كتاب الله تعالى وترديد مزاعمهم بالأثر اليهودي في القصص القرآني، من تلك الكتب:

- (مصادر القصص الإسلامية في القرآن) و(قصص الأنبياء)، لسايدر سكاي، باريس، ١٩٣٢م.
- و(القصص الكتابي في القرآن)، لسباير جريفنا، ١٩٣٩م.
- (قصة أهل الكهف)، عام ١٩٠٧م[١].
- و(قصص القرآن)، للمستشرق المجري بيرنات هيللر (١٨٥٧ - ١٩٤٣م)، مجلة عالم الإسلام، ١٩٩٤م[٢].
- ونجد مؤلفات المستشرقين في هذا المجال منثورة في المعاجم والكتب المهتمة بحصر التراث العربي والإسلامي[٣].
- وهناك كتابات وأبحاث بفقه اللغة العربية، منها كتاب: (الكلمات الأجنبية في القرآن) للمستشرق الألماني "فرانكيل".
- وكَتَب المستشرق الألماني "كارل بيكر"، (قواعد لغة القرآن في دراسات نولدكة في مجلة الإسلام عام ١٩١٠م.
- ولمارجليوث بحث بعنوان: (نصوص القرآن) في مجلة العالم الإسلامي ١٩٢٥م.
- وتحت عنوان (القرآن)، وردت عدة أبحاث وكتب لعدد من المستشرقين منهم: فلهاوزن، وياكوب بارت، وكاله، وآرثر جفري، ويبقى الأكثر شيوعاً كتاب: المستشرق الفرنسي بلاشير: (القرآن: نزوله، تدوينه، ترجمته، تأثيره)[٤].

---

(١) ينظر: محمد حسين علي الصغير، المستشرقون والدراسات القرآنية، ص٧٤ - ٧٥.

(٢) المرجع نفسه، ص٧٥.

(٣) ينظر: عبدالجبار عبدالرحمن، ذخائر التراث العربي الإسلامي، وصلاح الدين المنجد، معجم المخطوطات العربية، وكارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي.

(٤) ينظر: محمد حسين علي الصغير، المستشرقون والدراسات القرآنية،، مرجع سابق، ص ١١٦ - ١١٧.

ومن المؤلفات الاستشراقية في التفسير وعلوم القرآن: ما يظهر فيه الطعن وإثارة الشبهات والتشكيك في مصداقية كتاب الله تعالى من عناوين تلك الأبحاث والكتب، ومنها على سبيل المثال:

- (النصرانية واليهودية في القرآن) للمستشرق الألماني "بومشتارك"[1].
- (توافق القرآن والإنجيل) للمستشرق الفرنسي "بوستل"[2].
- (الكلمات الأجنبية في القرآن) للمستشرق الألماني "فرانكلين"[3].
- (التطور التاريخي للقرآن) للمستشرق الإنجليزي "سل"[4].
- (عناصر يهودية في مصطلحات القرآن الدينية) للمستشرق المجري "هيللر"[5].
- (التوراة في القرآن) للمستشرق الألماني "فايل"[6].
- (عناصر نصرانية في القرآن) للمستشرق "آرنس"[7].
- (الإسرائيليات في القرآن) للمستشرق الأمريكي "فنكل"[8].
- (الأسماء والأعلام اليهودية في القرآن) للمستشرق الألماني "هوروفيتش"[9].
- (طابع الإنجيل في القرآن) للمستشرق "وولكر"[10].

---

(١) عمر إبراهيم رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، ٢/ ٢٣١.
(٢) العقيقي، المستشرقون، ٣/٥٣٢.
(٣) عمر إبراهيم رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره٢،/٢٢٨.
(٤) العقيقي، المستشرقون٣،/ ٥٣٤.
(٥) عمر إبراهيم رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، ٢/ ٢٢٦.
(٦) العقيقي، المستشرقون، ٣/ ٥٣٥.
(٧) عمر إبراهيم رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره٢،/ ٢٢٥.
(٨) المستشرقون، العقيقي، ٣/ ٥٣٩.
(٩) عمر إبراهيم رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره، ٢/ ٢٢٠.
(١٠) المرجع نفسه، ٢/ ٢٢٥.

- ومن الدراسات الاستشراقية الحديثة للقرآن الكريم وتفسيره: دراسات كل من: أندرو روبن، وهاوتنغ، وستيفن ويلد[(١)].
- ولا ننسى دائرة المعارف الإسلامية التي أصدرها المستشرقون وماتحمله من مواد استشراقية؛ للطعن في كتاب الله تعالى، التي صدرت بعدة لغات في طبعتها الأولى عام ١٩١٤م، وفي طبعتها الثانية عام ١٩٥٤م[(٢)].
- وتبقى الموسوعة الاستشراقية الأشمل والأخطر ذات الخمس مجلدات موسوعة القرآن الكريم عن "بريل" التي صدر منها جزءان من الأجزاء الخمسة المشتملة على ألف مدخل كدراسة نقدية استشراقية للقرآن وعلومه، كُتبت بأيد استشراقية، واستكتب فيها عدد من العرب والمسلمين المتأثرين بالأفكار الاستشراقية؛ كمحمد أركون الذي كتب مقدمتها.
- وللمستشرقين اهتمام بترجمة معاني القرآن الكريم، فكانت أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر بدعم من الراهب "بطرس المبجل"[(٣)].
- ومن تلك الترجمات الاستشراقية: الأب ماراتشي ١٦٩٨م، ثم تلتها ترجمة المستشرق الألماني "جوستاف فلوجيل" إلى اللغة اللاتينية[(٤)].
- ومن أشهر الترجمات الإنجليزية: ترجمة "جورج سيل" عام ١٧٣٤م، وترجمة "آربري" ١٩٥٥م، و"بالمر" عام ١٨٨٠م، و"بل" ١٩٣٩م[(٥)].
- ومن الترجمات الشهيرة إلى اللغة الألمانية: ترجمة "رودي بارت"، وأبرز

---

(١) المرجع نفسه، ص٣٧٣.
(٢) ينظر: رودي بارت، مرجع سابق، ص٣٨.
(٣) ينظر: المرجع نفسه، ص٩. رودي بارت)
(٤) ينظر: ساسي سالم الحاج، الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية، مركز دراسات العالم الإسلامي، ط١، ١٩٩١م، ١/٣١١.
(٥) ينظر: محمد خليفة، الاستشراق والقرآن العظيم، ترجمة: مروان عبدالصبور شاهين، دار الاعتصام، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، القاهرة، ص١٢٠ - ١٢٢.

الترجمات إلى الفرنسية "كازيميرسكي" ١٨٣٢م، و"مونتيه" ١٩٢٩م، و"بلاشير" ١٩٤٧م[(١)].

- وقد حملت تلك الترجمات أخطاءً لغوية، وطعوناً وشبهاتٍ استشراقيةً، أشار إليها عدد ممن حصر ترجمات المستشرقين لمعاني القرآن الكريم[(٢)].

- وفي مجال المعاجم يبقى الأبرز هو: المعجم المفهرس للقرآن الكريم للمستشرق الألماني جوستاف فلوجل ١٨٠٢ – ١٨٧٠م، سماه: نجوم الفرقان في أطراف القرآن، اعتمد عليه محمد فؤاد عبدالباقي في معجمه المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

- وفي نفس المجال يبرز عمل المستشرق الفرنسي "جول لابوم" في كتابه: "تفصيل آيات القرآن الكريم"[(٣)]، مع ما في هذين العملين من أخطاء لغوية ومنهجية[(٤)].

- وظهر من تتبع ذلك النتاج العلمي الاستشراقي في مجال الدراسات القرآنية – وخصوصاً التفسير –: إبراز المستشرقين الكتب المنحرفة من كتب الفرق: الباطنية والمعتزلة، مع تمجيد طريقتهم في التفسير، واعتبار تلك التفاسير هي التفاسير الأمثل، وأهلها أصحاب العقل الحر، مع ذمهم وانتقاصهم لكتب التفاسير بالمأثور، من كتب السلف رحمهم الله، وهذا يظهر جلياً من خلال

---

(١) ينظر: ساسي سالم الحاج، الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية، مرجع سابق، ٣١٢/١.

(٢) ينظر: محمد صالح البنداق، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص٨٩. ومحمد خليفة، الاستشراق والقرآن العظيم، مرجع سابق، ص١٢٤ – ١٤٦، وزينب عبدالعزيز، ترجمات القرآن إلى أين: وجهان لجاك بيرك، دار الهداية للطباعة والنشر، ط٢، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، وفيليب حتي، الإسلام منهج حياة، ترجمة: عمر فروخ، دار العلم للملايين، ص٧٨.

(٣) ينظر: محمد عوني عبدالرؤوف، جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة، مرجع سابق، ص٣٥٥.

(٤) ينظر: عبدالستار الحلوجي، جهود المستشرقين في مجال التكشيف الإسلامي، مرجع سابق، ص٧٢٨ – ٧٣٠.

عنوانات تلك الكتب، أو من خلال تتبع ما كتبه المستشرقون في ثنايا كتبهم، ويبرز ذلك بجلاء فيما كتبه "جولد زيهر" في كتابه: (مذاهب التفسير الإسلامي) من تمجيد لكتب الفرق المنحرفة كالباطنية والمتصوفة، والشيعة، والمعتزلة، وثنائه على الظواهر المنحرفة في حركة التفسير العصرية المنحرفة.

ومن صور الاهتمامات الاستشراقية الحديثة بالقرآن الكريم: المؤتمرات المتوالية حول دراسة القرآن الكريم وتفسيره، ومن تلك المؤتمرات:

- مؤتمر جامعة بون في نوفمبر ١٩٩٣م الذي جمعت أعماله في كتاب: (القرآن كنص) الصادر عن بريل ١٩٩٦م.
- ومنها: مؤتمر الدراسات القرآنية على أبواب القرن الواحد والعشرين في جامعة لايدن في عام ١٩٩٨م.
- ثم تلاه مؤتمر: القرآن نص وتفسير، الذي عقد في جامعة لندن في أكتوبر عام ١٩٩٩م[١].

(١) ينظر: بحث موسوعة القرآن الكريم، حسن عبود، مجلة الاجتهاد، العددان (٥٧، ٥٨) عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص٣٧١.

الفصل الثاني
الموقف الاستشراقي من التفسير ونقده

ونستطيع تفصيل موقف المستشرقين من التفسير في النقاط التالية:

دعوى معارضة الصحابة تفسير القرآن الكريم:

يعمم جولد زيهر في حكمه على موقف الصحابة رضوان الله عليهم وأول عصر التابعين من معارضة التفسير فيقول: "ولدينا شواهد من القرن الثاني الهجري تدل على أن الاشتغال بالتفسير كان ينظر إليه بعين الريبة، وأن الرأي إزاء هذا العمل كان مصحوباً بالمقاومة له، والفزع منه"[١].

إن القول بأن الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً كانوا يمتنعون عن تفسير آيات من القرآن الكريم لا يفهم منه معارضتهم للتفسير، وإنما الثابت امتناعهم رضوان الله عليهم من القول في كتاب الله بلا علم.

إن ما اشتهر عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم من الامتناع عن تفسير بعض الآيات كقول أبي بكر رضي الله عنه: "أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم"[٢].

إنما يُحْمَلُ على امتناعهم عن القول في كتاب الله تعالى بالرأي المجرد من غير دليل وبرهان، والتفسير بغير علم، وهذا يوافق نهي النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: "**من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار**"[٣].

أمّا تفسير كتاب الله تعالى المبني على علم ودليل فقد قال به أبو بكر وعمر وكبار الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً، وقد دعا النبي صلى الله عليه

---

(١) مذاهب التفسير، ص٥٣.
(٢) تفسير الطبري، ١/٧٨، وابن كثير، ١/٥.
(٣) مسند أحمد، ١/٢٦٩.

وسلم لابن عباس في هذا الخصوص بقوله صلى الله عليه وسلم: "**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**"[1].

وأما تفسير القرآن الكريم بمجرد الرأي ممن لم يكن أهلاً لذلك أو تفسير القرآن بالهوى لنصرة مذهب باطل، كتأويلات أهل الفرق المنحرفة لتأييد باطلهم فهذا هو التفسير المذموم، الذي ورد النهي عنه، والذي كان الصحابة رضوان الله عليهم يحترزون منه.

الطعن في التفسير بالمأثور وتمجيد التفاسير المنحرفة:

يمجد جولد زيهر التفسير بالرأي وأهله مقابل التفسير بالمأثور[2].

ويشنع بلاشير على أهل السنة في موقفهم من التفسير الرمزي لدى الصوفية، فيقول: "أما موقف المذهب السني من التفسير الرمزي الذي يمجده المتصوفون فقد كان على العكس متصلباً[3].

وامتداداً لما درج عليه جولد زيهر من إعلاء لتفاسير المبتدعة، وتقديم تلك الكتب على أنها الأنموذج الأمثل لتفسير القرآن الكريم، نجده يمتدح المعتزلة وانحرافاتهم في التفسير، وردهم للأحاديث الصحيحة فيقول: "والواقع أن المعتزلة يسلكون طريقهم الخاص في دائرة التفسير المتصل بالعقائد، فهم لم يبالوا –هنا– أن يزيلوا من طريقهم ركاماً كبيراً من التصورات الشعبية، والآراء المروية، التي لا تتفق مع تصورهم المستنير للألوهية"[4].

ويعمد جولد زيهر إلى إبراز الخصومات والاختلافات بين المعتزلة وأهل السنة ويجعل المعتزلة في صف واحد مع أهل السنة ويعلي من شأن المعتزلة في خصوماتهم لأهل السنة، ويمجدهم، وصولاً لانتقاص أهل السنة والجماعة[5].

---

(١) مسند أحمد، ١/٢٦٦.
(٢) المرجع السابق، ص١٢١ – ١٢٣.
(٣) المرجع السابق، ص١٢١.
(٤) جولد زيهر، مذاهب التفسير الإسلامي، ص١٣٥.
(٥) المرجع نفسه، ص١٢٥.

ويطعن عدد من المستشرقين -أمثال كارديفو، ولا مانس، وجولد تسيهر- في التفسير بالمأثور وذلك بالتشكيك في الأحاديث التي يستشهد بها المفسرون[1].

التشكيك في القراءات طريق إلى الطعن في التفسير:

يدعي جولد زيهر أن تعدد القراءات فتح الباب على مصراعيه لتعدد أوجه التفسير[2]، وهذا ما يوافقه فيه عدد من المستشرقين الطاعنين في كتاب الله تعالى، أمثال: نولدكة[3]، وبلاشير[4].

ويمكن الرد على هذه المزاعم من وجوه:

١ - خفي على المستشرقين الحكمة من تعدد القراءات، والتي منها إرادة التخفيف والتيسير على هذه الأمة؛ مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧﴾ [القمر: ١٧]، فالعرب كانت لهم عدة لهجات ينطقون بها، فمن أجل التخفيف على القبائل العربية ومن أجل جمعهم على تلاوة القرآن بما تطاوعه ألسنتهم من لهجاتهم أنزل الله القرآن على وجوه من الأداء.

٢ - ذكر السيوطي أن القراءات بالزيادة التي وجدت في بعض مصاحف الصحابة مثل: سعد ابن أبي وقاص "وله أخ أو أخت من أم".

وقراءة ابن عباس "ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربّكم في موسم الحج" وقراءة ابن الزبير "ولتكن منكم امة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف ويستعينون بالله على ما صبروا"

ومثل "وإن منكم إلا واردها - الورود يعني الدخول -"

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية، ٣٤٧/٥.
(٢) مذاهب التفسير الإسلامي، ص٤.
(٣) تاريخ القرآن، ٩١/٢.
(٤) القرآن، نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره، ص١٠٧.

فهذه قراءات تفسيرية، فخلط بعضهم فأدخلها في القرآن، وهى الملامح الأولى لعلم التفسير(١).

٣ - وبالتتبع والاستقرار تبين أن اختلاف القراءات العشر التي نزل بها القرن الكريم إنما هو اختلاف تنوع وتغاير، لا اختلاف تضاد وتناقض، وأن الاختلاف والتنوع لا يخلو عن ثلاثة أحوال.

أ - "اختلاف اللفظ دون المعنى، ومثال ذلك الاختلاف في كلمة "الصراط" في سورة الفاتحة فقد قرئت بالسين والصاد.

ب - "اختلاف في اللفظ والمعنى معاً، مع جواز اجتماعهما في شيء واحد، مثال القراءات الواردة في قوله تعالى "مالك يوم الدين". "وملك يوم الدين"(٢).

فقد قرأ عاصم والكسائي ويعقوب وخلف البزار "مالك" بإثبات ألف بعد ميم، وقرأ الباقون من العشرة "مَلك" على أنه صفة مشبهة، وهو مالك وملك، أي: متصرف.

ج - " اختلاف اللفظ والمعنى معاً، من ذلك قوله تعالى ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢].

قرأ الكسائي "لقد علمتُ" بضم التاء، مسنداً إلى ضمير المتكلم وهو نبي الله موسى عليه السلام.

وقرأ الباقون "لقد علمتَ"، بفتح الباء، مسنداً إلى ضمير المخاطب وهو فرعون.

ثم إن المسلمين قد رووا ما أخذه أصحاب رسول الله من القرآن الكريم، ونبغ بعد ذلك من القراء المتقنين.

٤ - فنحن نثبت أن ما يسمى بالقراءات العشر إنما هي روايات صحيحة ثابتة

---

(١) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ٢١٧/١.
(٢) المصدر نفسه، ٢١٣/١.

متواترة مروية عن الرسول صلى الله عليه وسلم بالنقل المتواتر، تلقاها أصحاب رسول الله عن الرسول عليه الصلاة والسلام، والرسول عن جبريل عليه السلام، فكل ما جاء فيها فهو من القرآن قطعاً.

التشكيك في عدالة ابن عباس رضي الله عنه:

ولقد كان أكثر هجوم المستشرقين على ابن عباس رضي الله عنهما، طعناً في عدالته، ومن ذلك: ما جاء من مزاعم في كتاب جولد زيهر إذ يدعي قائلاً: "وكثيراً ما نجد بين مصادر العلم المفضلة لدى ابن عباس اليهوديين اللذين اعتنقا الإسلام "كعب الأحبار" و"عبدالله بن سلام" "[١].

ويطعن عدد من المستشرقين في ابن عباس رضي الله عنهما، إذ يدعي «كايتاني» «وجولد زيهر» تأثره بأهل الكتاب في تفسيره وإيراده للإسرائيليات عن طريق كعب الأحبار وعبدالله بن سلام[٢].

وقد وجه عدد من المستشرقين الطعن في التفسير بالتشكيك في صحة مرويات التفسير من الأحاديث الصحيحة التي اعتمدها أصحاب التفسير بالمأثور من علماء السلف، فمما قاله المستشرق "كارديفو" في دائرة المعارف الإسلامية: "وعلم التفسير قديم، قد يرجع تاريخه إلى صدر الإسلام، ويروى أن ابن عباس ت ٦٨هـ كان حجة في التفسير، وقد نسبوا إليه تفسيراً، وتساءل النقاد المحدثون (جولد زيهر ولامانس وغيرهما) عن قيمة الأحاديث الواردة في هذه الكتب الجامعة، ولم يصلوا بعد إلى رأي يعززها كثيراً، والظاهر أن أغلب هذه الأحاديث موضوع، إما لتقرير مسألة شرعية، وإما لأغراض كلامية، وإما لمجرد التوضيح، بل قد يكون لمحض اللهو والتسلية".

وللرد على هذه المزاعم نبين جانباً من فضله ومكانته العلمية رضي الله عنه، فقد كان ملازماً للرسول صلى الله عليه وسلم لقرابته منه، وبعد وفاة

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي، ص٨٨.

(٢) مذاهب التفسير الإسلامي، ص٦٦ – ٦٨.

النبي صلى الله عليه وسلم لازم كبار الصحابة وأخذ عنهم ما فاته من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان على معرفة تامة بلغات العرب وآدابها، آتاه الله العلم والفقه والتأويل، ظفر بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم له عندما قال: "**اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل**"(١).

وقد اجتمع فيه رضي الله عنه عدد من المزايا أهلته لأن يكون من كبار علماء الأمة، ومفسرها الأول، حبر الأمة، الإمام البحر، عالم العصر(٢)، فعن عبدالله بن مسعود قال: «نعم ترجمان القرآن ابن عباس»(٣)، تميز بذكاء المعنى، وقريحة وقّادة، وإيمان راسخ، وقلب عقول، ولسان سؤول، رضي الله عنه وعن أبيه(٤). حتى أطلق عليه لقب ترجمان القرآن.

التشكيك في صحة مرويات التفسير:

ومن دعاوى المستشرقين ودعواتهم: القيام بدراسات نقدية لأمهات التفاسير بالمأثو، فهذا المستشرق "جيلوت" يشكك في صحة روايات الأحاديث في تفسير الطبري، فيقول: "ولجوء المفسر إلى هذا النوع من الخطاب الذي يعتمد على إسناد الحديث يكشف لنا مختلف الإسقاطات التي وقعت في كتب التفسير، حيث كانت الرغبة متجهة لتكريس مرويات بعض الصحابة الذين خصتهم كتب التراث بسيرة أسطورية، مثل: ابن عم محمد [صلى الله عليه وسلم] عبدالله بن عباس، على أن هذا النوع من الدراسة يتطلب منا أن نطرح من جديد السؤال عن العلاقة بين ما هو واقعي حقيقي وما كان من إبداع المخيلة، كما سبق أن طرح ذلك في مجال دراسة المجتمعات البدائية (الأنثربولوجيا) والتاريخ الوسيط والقديم بالغرب"(٥).

---

(١) مسند الإمام أحمد، ١/٢٦٦.
(٢) تنكرة الحفاظ، للإمام الذهبي، ١/٤٠.
(٣) عمر إبراهيم رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، ٢/٧١٥.
(٤) المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، حديث رقم (٦٢٩١)، ٣/٦١٨.
(٥) نقلاً عن: عبدالرزاق هرماس، تفسير القرآن الكريم في كتابات المستشرقين، ص١٣٩.

ولا شك أن هذا النقد يقصد به الطعن في عدالة الصحابة رواة الحديث، ولا يقصد منه النقد الهادف لتمحيص الثابت من غير الثابت من هذه الروايات، إذ لو كان كذلك لوافق منهج المحدثين في التثبت من الروايات.

وهذا النقد لا يطال الاتجاهات المنحرفة في التفسير التي سلمت من نقد المستشرقين ونالت مكانة متميزة لديهم.

الطعن في تفسير الإمام الطبري رحمه الله:

ويشكك جولد زيهر في قيمة تفسير الطبري عندما يبالغ في ذكر ما ورد فيه من إسرائيليات، دون ذكر لمنهج الطبري في عرض الروايات[١].

ومن صور تهجم المستشرقين على كتب التفسير بالمأثور بحث المستشرق "كليمان هوار" بعنوان: (وهب بن منبه والتراث اليهودي النصراني باليمن)، خلص فيه إلى توجيه الطعن إلى كتاب (جامع البيان) لابن جرير الطبري بزعمه كثرة الروايات الإسرائيلية في هذا التفسير[٢].

ويصرح بذلك في بحثه فيقول: "إن مقاطع كثيرة من الطبري... مرتبطة بمثلها في سفر التكوين الذي يعرض للروايات اليهودية والنصرانية، وكان وهب ابن منبه هو الطريق الذي انتقلت بواسطته هذه الآثار في نهاية القرن الأول الهجري"[٣].

ويعمم الكثير من المستشرقين في حكمهم على كتب التفسير ويبالغون في دعواهم وجود الإسرائيليات في كتب التفسير، دون التفريق بين تفسير وآخر، وكأن كتب التفسير بأكملها لم تسلم من ذلك التأثير[٤].

إن دخول بعض الروايات الإسرائيلية في عدد من كتب التفسير أتاح

---

(١) التفسير الإسلامي، ص٨٧ – ٨٨.
(٢) عبد الرزاق هرماس، تفسير القرآن الكريم في كتابات المستشرقين، ص١٢٣.
(٣) بحث: وهب بن منبه، نقلاً عن المرجع السابق، ص١٣١.
(٤) بلاشير، القرآن نزوله، وتدوينه، ص١١٥.

للمستشرقين المجال للطعن في مصداقية كتب التفسير بالمأثور، ووجدوا فيها ما يشبع أهواءهم ويرضي تعصبهم الممقوت، ويوافق توجهاتهم العدائية للإسلام، فما حقيقة وجود هذه الإسرائيليات؟ وكيف دخلت إلى مجال التفسير؟ وما حجمها في كتب التفسير؟

دخلت الروايات الإسرائيلية إلى كتب التفسير عن طريق مُسِلمَة أهل الكتاب في عهد التابعين، وقد وقف علماء الأمة منها موقف النقد والتمحيص والتدقيق، فما عارض كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم تم رده ومعارضته، وأما ما علم صحته ووافق ما في شريعتنا فلا حرج في روايته، مع أن شريعتنا غنية عنه، وأما ما لم يعارض ولم يوافق ما في شريعتنا فالموقف منه موقف الحذر، ولا يصح أن يبنى عليه حكم شرعي، ويصدق في هذا النوع حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "... لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم"[(١)].

وقد وقف علماء الأمة موقف النقد والتمحيص لهذه الروايات، حتى وإن وردت في بعض كتب التفسير، ولم تكن تمثل عقبة أمام علماء الأمة في بيانها، وإنما قد تنطلي على قليلي العلم ومن لا يعلمون أصول نقد الروايات أمثال المستشرقين.

وكان من أبرز المرويات التي وقعت فيها الإسرائيليات في مجال القصص القرآني، فيما توسعت بهم كتبهم دون القرآن، وذلك لأخذ العبرة والاعتبار، ولم تكن تلك الروايات في مجال العقيدة أو تشريع الأحكام، وإنما في إطار ما أباح النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: "**حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**"[(٢)].

وأما في مجال العقيدة والتشريع فقد جاء النهي عن الرواية عنهم؛ لكمال شريعة الإسلام وتمامها في تنزيه الله سبحانه وتعالى، وعصمة أنبيائه قال صلى الله عليه وسلم: "**لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء**"[(٣)].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، ٥/١٥٠.
(٢) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، ٤/١٤٥.
(٣) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، ٨/١٦٠.

وقد اهتم عدد من العلماء المتقدمين والمتأخرين بتنقيح كتب التفسير من الإسرائيليات والدخيل، وظهرت كتب ودراسات علمية لبيان تلك الروايات والحذر منها[١]، مع أنها لا تنطلي على العلماء والمتخصصين في هذا العلم.

الدعوة إلى منهجية حديثة في التفسير:

ومن دعاوى ودعوات المستشرقين: إعادة تفسير القرآن الكريم اعتماداً على ما يصطلح عليه بالعلوم الإنسانية المعاصرة في الغرب والاستفادة من مناهج تلك العلوم في إعادة تفسير القرآن الكريم، وبخاصة مناهج الأنثربولوجيا، ومنهجية علم اجتماع المعرفة، وهذا ما يؤيده المستشرق "جاليوت" بقوله: "إن تطور الدراسات القرآنية في الغرب –أواسط القرن العشرين– قد حدث تحت تأثير التقدم الملحوظ في تفسير الكتاب (المقدس)، وتأثير النظريات الأدبية، إن أثر العلوم الإنسانية وبخاصة علم دراسة المجتمعات البدائية (الأنثربولوجيا) وعلم تاريخ الأديان "بدأ ذلك الأثر يظهر في مجال تفسير القرآن بالغرب، مثال البحث عن دور الشعارات والرموز الدينية، ودور الوجدان الديني، ودور الأساطير المرتبطة بالدين"[٢].

وإذا كان المستشرقون ومن تابعهم قد رددوا في أكثر من موطن من كتاباتهم الدعوة إلى استخدام منهج الأنثربولوجيا، وخصوصاً الأنثربولوجيا الدينية في دراسة القرآن الكريم وتفسيره، فما حقيقة هذا العلم؟

نظرية الأنثربولوجيا الدينية تتلخص في أن الإنسان منذ القدم قد استرعت انتباهه بعض الظواهر مثل: الأحلام، والرؤى، والمرض، واليقظة، والنوم، والموت، فكانت تلك العقائد والطقوس الصورة الأولى للأديان – كما يزعمون –[٣].

---

(١) ينظر على سبيل المثال: محمد محمد أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ورمزي نعناعة، الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير، ومحمد حسين الذهبي، الإسرائيليات في التفسير والحديث.

(٢) نقلاً عن: عبدالرزاق هرماس، تفسير القرآن الكريم في كتابات المستشرقين، ص١٤٠ – ١٤١.

(٣) ينظر: عاطف وصفي، الأنثربولوجيا الاجتماعية، دار النهضة العربية، بيروت، ط٣، ١٩٨١م، ص٣٠.

والأنثربولوجيا موضوع بحثها: أساطير الجماعات البشرية، باعتبار أن الإنسان (البدائي) -كما يسمونه- اعتنق ديانات بدائية أقرب إلى السحر والأساطير متمايون في زعمهم بأن تلك أولى الصور الدينية التي عرفها الإنسان.

وقد سعى عدد من المستشرقين ومن تابعهم إلى إسقاط هذا المنهج على مجال الدراسات القرآنية وخصوصاً قصص الأنبياء، وتاريخ الأقوام السابقين الذين ورد الحديث عنهم في القرآن الكريم[(١)].

ومن العلوم الإنسانية التي تردد الدعوة إلى استخدامها: منهجية علم اجتماع المعرفة، فما أصول هذه المنهجية، وماحقيقتها؟

ترجع البدايات الأولى لعلم اجتماع المعرفة إلى النظرية المادية التاريخية عند ماركس، وتحليله للمعرفة، وتفسيره للتاريخ، وكشفه عن طبيعة الأيدلوجيات والحقائق السائدة في المجتمعات[(٢)].

وقد عَرَّفَتهُ دائرة معارف العلوم الاجتماعية بأنه: "فرع من علم الاجتماع يهتم بدراسة العلاقة بين الفكر والمجتمع، ويهتم أيضاً بدراسة الظروف الاجتماعية أو الوجودية للمعرفة"[(٣)].

وبإيجاز يدرس علم اجتماع المعرفة طرق تأثير الظروف الاجتماعية في المنتجات الذهنية أو المعرفة، وفي حقيقته يُعنى علم اجتماع المعرفة بدراسة الظواهر الاجتماعية المؤثرة في نشوء الأفكار وتطورها، وحقيقته الإدعاء بأن المجتمع هو أساس كل الظواهر الدينية والمعرفة، وأن المجتمع يتأثر ويؤثر في معطيات تلك المعرفة.

وبهذا المفهوم لا يعدو الدين – على حد زعمهم – أن يكون إلا حادثاً

---

(١) ينظر: عبدالرزاق هرماس، تفسير القرآن الكريم في كتابات المستشرقين، مرجع سابق، ص١٤٨.

(٢) ينظر: طه نجم، علم اجتماع المعرفة، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ١٩٩٦م، ص١٢.

(٣) المرجع نفسه، ص١٦، وينظر كذلك: نبيل رمزي، علم اجتماع المعرفة، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية.

اجتماعياً، فهذه المنهجية تنكر الغيب ومصدر الوحي، إذ الدين في زعمهم انبثق من المجتمع نفسه[(١)].

ومن أبرز عيوب هذه المنهجية الاجتماعية: أنها تنطلق من نظرة مادية تنكر فيها الحقائق الغيبية، بحجة أنها لا تدخل في الحقائق المشاهدة، ووصف الحقائق الغيبية بأنها أساطير، كما ورد في كتابات أتباع هذه المدرسة عن القرآن الكريم.

وينظر مستخدمو هذه المنهجية للأديان كحقائق اجتماعية نبعت من المجتمع نفسه مع إنكارهم للغيب[(٢)].

وإتماماً لنقدنا لمنهجية المستشرقين ومن تابعهم في تبني منهجيات العلوم الاجتماعية والإنسانية يشير نبيل السمالوطي إلى أزمة المفاهيم في علم الاجتماع فيقول: "يعاني علم الاجتماع من أزمات في تحديد المفاهيم والفهم والتفسير والتحليل، فقد ظهرت اتجاهات متصارعة منها: الاتجاهات الوضعية، والوظيفية، والاتجاهات الراديكالية، والنقدية، والفينومينولوجية "[(٣)].

وهذا ما ينطبق على سائر منهجيات العلوم الإنسانية والاجتماعية التي اعتمدها المستشرقون ومن تابعهم في دراسة القرآن الكريم وتفسيره.

---

(١) ينظر: نبيل السمالوطي، التوجيه الإسلامي وصراع المنطلقات والنظريات في علم الاجتماع، دراسة نقدية في علم اجتماع المعرفة، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ١٩٩٦م، ص٣.

(٢) ينظر: محجوب كردي، منهجية علم الاجتماع المعرفي في كتابات بعض المستشرقين عن العقيدة الإسلامية، ضمن كتاب: دراسات استشراقية وحضارية، مركز الدراسات الاستشراقية والحضارية، كلية الدعوة بالمدينة المنورة، فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الأول ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص١٦٥.

(٣) التوجيه الإسلامي وصراع المنطلقات والنظريات في علم الاجتماع، مرجع سابق، ص٢٥، وينظر: علاء مصطفى أنور، أزمة المنهج في العلوم الإنسانية، مرجع سابق.

الفصل الثالث

موقف المتأثرين بالفكر الاستشراقي من القرآن الكريم وتفسيره

ظهر عدد من أتباع المستشرقين ممن ينتسبون للإسلام يرددون مزاعم المستشرقين في كتاب الله تعالى وتفسيره، ومن أبرز أصحاب هذا الاتجاه:

- محمد أحمد خلف الله في كتابه: الفن القصصي في القرآن.
- ومحمد شحرور في كتابه: "الكتاب والقرآن: قراءة معاصرة".
- وصادق جلال العظم في كتابه: "نقد الفكر الديني".
- ومحمد أركون في كتبه: الفكر الإسلامي قراءة علمية، والفكر الإسلامي نقد واجتهاد، والفكر الأصولي واستحالة التأصيل، وتاريخية الفكر العربي الإسلامي، والقرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني.
- والطيب تيزيني في كتابه: "النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة".
- وعابد الجابري في كتابه: "التراث والحداثة".
- ومترجم كتب محمد أركون: هاشم صالح في: "تعليقاته وتحشيته على كتب أركون".
- وفي عدد من مؤلفات علي حرب كـ"نقد النص"، و"نقد الحقيقة".
- وفي مجموعة من مؤلفات: نصر حامد أبو زيد، مثل: "الخطاب والتأويل"، و"مفهوم النص". ونقد الخطاب الديني.
- وأدونيس في كتابه: "الثابت والمتحول".
- وتركي علي الربيعو في كتابه: "الإسلام وملحمة الخلق الأسطورة".
- ورشيد الخيون في كتابه: "جدل التنزيل".
- وتلميذ محمد أركون: رمضان بن رمضان في كتابه: "خصائص التعامل مع التراث".

- وعبدالهادي عبدالرحمن في كتابه: "سلطة النص".
- وأمين الخولي في مادة (تفسير) في دائرة المعارف (الإسلامية).
- وحسن حنفي في: دراسات إسلامية، ومفهوم النص. وقراءة النص.
- والصادق النيهوم، في كتابه (الإسلام في الأسر).
- والعشماوي، في (جوهر الإسلام).
- ومحمد محمود طه، في (الرسالة الثانية).
- والشرفي، في (الإسلام بين السياسة والتاريخ).
- وسيد القمني، في (الأسطورة والتراث).
- وأنور خلوف، في (القرآن بين التفسير والتأويل والمنطق العقلي).

وبعد ذكرنا أبرز رواد هذا الاتجاه المنحرف نذكر أمثلة من مواقفهم من خلال مادونوه في كتبهم في الآتي:

تردد في كتب من ذكرنا من أتباع المستشرقين مصطلحات عدة ومناهج غربية ما يسمى: نقد النص وتفسيره كالتاريخية، والهرمنيوطيقا، والنسبية، والرمزية وغيرها من المناهج والمصطلحات الغربية، وقبل أن نذكر أمثلة ونقولات من كتبهم في موقفهم من كتاب الله تعالى وتفسيره نعرض نبذة مختصرة لتاريخ نشأة هذه المناهج والمصطلحات في الفكر الغربي.

مفهوم التاريخية أو التاريخانية الحديثة:

يعتبر "فيكو" ١٦٦٨ - ١٧٤٤م بنظر - هاشم صالح - هو أول مفكر في الغرب يُبلور مفهوم التاريخية أي: ينص على أن البشر - كما يتوهمون - هم الذين يصنعون التاريخ، ولا دخل للقدرة الإلهية في ذلك، وليس القوى الغيبية، وبالتالي فالتاريخ كله بشري من أقصاه إلى أقصاه[(١)].

ولم تخرج التاريخية في الفكر العربي المعاصر ولدى عدد من المفكرين -

---

(١) تعليقات هاشم صالح على كتاب أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص٤٧.

أمثال أركون، وطيب تبريني، وعلي حرب، وحسن حنفي، والجابري، وتركي علي الربيعو، ونصر حامد أبو زيد، وعبدالله العروي... وغيرهم- عن هذا المفهوم الغربي، وامتد مفهومهم للتاريخية إلى القرآن الكريم إذ أطلقوا عليه: تاريخية القرآن، أي: تاريخية ارتباطه بلحظة زمنية[١].

تنظر التاريخية الغربية للتاريخ على أنه علم لا يقوم على صحة الخبر أو سنده بشكل أساسي، وإنما على مضمون الخبر وما يحتويه من معلومات، وتلعب المقارنة والتحليل والاسترداد دوراً أساسياً في قبول الخبر أو رفضه دون التعويل على صحة الخبر من الناحية الوثائقية؛ ولذلك يسمى هذا المنهج بالمنهج الاستردادي، وتكون مواهب الباحث وإمكاناته وعمق ملاحظته وسعة خياله ودقة وجدانه ذات أثر أساسي في تمحيص المعلومات التاريخية، بل ربما في إنشاء المعلومات التاريخية[٢] وتكوينها، لأن التاريخ يخضع لذاتية المؤرخ[٣].

وبناء على هذا المنظور الأوروبي للتاريخ برزت فكرة التاريخية لتأخذ أبعاداً جديدة، وتصبح قضية تفسيرية أو تأويلية والقول: بأن الحقيقة تاريخية بمعنى أنها تتصف بالنسبية التاريخية أي أنها تتطور بتطور التاريخ[٤].

ويعرف أركون التاريخية بأنها: "التحول والتغيير، أي: تحول القيم وتغيرها بتغير العصور والأزمان"[٥].

وتطورت التاريخية -لدى أصحاب هذا الفكر- إلى مرحلة التاريخانية الحديثة عندما اتصلت بالعلوم الإنسانية، واستفادت من مناهج التاريخ والفلسفة والعلوم الاجتماعية والنفسية والأثرية والأنثربولوجيا الثقافية، كل تلك المناهج

---

(١) محمد أركون، الفكر الإسلامي قراءة علمية، ص٢١٢.
(٢) عبدالرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، ص١٩.
(٣) ينظر: أحمد إدريس الطعان، موقف الفكر العربي العلماني من النص القرآني: دعوى تاريخية النص، ص٢٢٢.
(٤) عبدالمنعم حفني، المعجم الفلسفي، ص٣١١.
(٥) محمد أركون، من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي، ص٢٦.

تدعم التاريخانية لفهم وقراءة النص الأدبي والديني (اللاهوتي) في إطاره التاريخي والثقافي، حيث تؤثر – على حسب مفهومهم – الأيدلوجيات وصراع القوى الاجتماعية في تشكيل النص وإعادة تأويله[١].

وكان من نتاج تلك التاريخانية ظهور ما يسمى بالأنسنة التي تجعل الإنسان – على حد قولهم – سيداً للكون ومصدراً للثقافة[٢].

وتمثل النسبية نتاجاً للتاريخية إلى درجة يمكن أن يقال إن النسبية هي التاريخية[٣].

مصطلح الهرمنيوطيقا:

ومن المفاهيم ذات الصلة بالتاريخانية الجديدة مفهوم الهرمنيوطيقا، أو التأويل والمرتكز على البنيوية والتفكيك الذي يخضع لذاتية القارئ، دون أي اعتبار لمقاصد المتكلم أو الكاتب.

وهو مصطلح استخدم في نقد الدراسات الدينية في الغرب، ويشير إلى مجموعة القواعد والمعايير التي يتبعها المفسر لفهم النص الديني، منقولة عن الدراسات الأدبية عند الناقد الأدبي الأمريكي "هيرش"[٤].

من علماء "الهرمنيوطيقا": المفكر الألماني "شلير ماخر"، و"يلهلم ديلش"، و"مارتن هيدجر"، و"جادامر"، وهؤلاء تكرر ذكرهم وتمجيدهم في عدد من أطروحات هذه المدرسة الفكرية.

ويعرف نصر حامد أبو زيد هذه النظرية فيقول: "مصطلح الهرمنيوطيقا مصطلح قديم، بدأ استخدامه في دوائر الدراسات اللاهوتية؛ ليشير إلى مجموعة القواعد والمعايير التي يجب أن يتبعها المفسر لفهم النص الديني"[٥].

---

(١) ميجان الرويلي، وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ص٤٥.
(٢) ينظر: أحمد إدريس الطعان، موقف الفكر العربي العلماني من النص القرآني، ص٣٣١.
(٣) المرجع نفسه. ص٢٣٢.
(٤) العلمانيون والقرآن، مرجع سابق، ص١٤٠.
(٥) نصر حامد أبو زيد، إشكالية القراءة وآليات التأويل، ص١٣.

وهذا اللفظ -يعني التفسير والتأويل- تأويل النصوص الدينية بأسلوب خيالي، وبطريقة رمزية، تبتعد عن المعنى الحرفي المباشر، وتحاول كشف المعاني الخفية وراء النصوص المقدسة، كما يزعمون.

التاريخية في كتابات المدرسة الاستشراقية الحديثة:

وبعد هذا العرض لمفهوم التاريخية وما نتج عنها من مفاهيم أخرى في الفكر الأوروبي -ومن تابعهم في الفكر العربي- نأتي إلى تجلية معنى تاريخية القرآن، وتاريخية التفسير لدى الفكر العربي المتأثر بالأطروحات الغربية الاستشراقية.

اتضح مما سبق أن التاريخية تعني إخضاع النص لأثر الزمان والمكان والمخاطب، وهو المعنى الذي تدور حوله كل تنظيرات المتأثرين بالفكر الغربي ممن يدعون إلى تفسيرات حديثة لكتاب الله تعالى، والمراد هو التنصل من قداسة القرآن الكريم، باختراع هذه التسمية لهذا النوع من التفسير وهو ما يطلق عليه: تاريخية التفسير القرآني[(١)] المنبثق من التاريخية الغربية التي بيَّنا أصولها فيما مضى.

ينظر أركون إلى القرآن باعتباره نصاً تاريخياً - كما يَدَّعي - وكجزء من التراث الذي يستلزم قراءة نقدية يخضع للنقد التفكيكي وإخضاعه - كما يزعم - إلى محك النقد التاريخي المقارن، وللتحليل الألسني التفكيكي[(٢)].

وممن نادى بتاريخية القرآن وتاريخية التفسير والتأويل وتاريخية المعاني التي يفهم النص من خلالها: نصر حامد أبو زيد، الذي يدعي وجود مفاهيم أسطورية في القرآن الكريم تجاوزها الزمن، ويضرب على ذلك أمثلة - على حد زعمه - بأن وصف الله عز وجل في القرآن الكريم بأنه ملك له عرش وكرسي وجنود، والحديث عن اللوح المحفوظ والقلم، كل هذه - كما يدعي - فهمت

---

(١) نائلة السليني، تاريخية التفسير القرآني، المركز الثقافي، الدار البيضاء، بيروت، ٢٠٠٢م.

(٢) ينظر: تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ترجمة: هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، والمركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٩٦م.

آنذاك فهماً أسطورياً، وقد تجاوزها اليوم الواقع والثقافة، وانتفى ذلك الفهم من الواقع، لصالح واقع إنساني جديد، ومفاهيم أفضل[(١)].

نعوذ بالله من اتباع الباطل والارتكاس في الضلال، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾، [الكهف: ١٠٣ - ١٠٥].

ولا يقلُّ طيب تيزيني عن سابقه تطرفاً: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام: ١١٢]، عندما زعم أن القول: بأن "القرآن صالح لكل زمان ومكان هوس ميتافيزيقي"[(٢)]. أو على حد زعم أنور خلوف "جمود"[(٣)].

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ [الكهف: ٥].

وقراءة القرآن - على حد زعم رمضان بن رمضان - لا يمكن أن تكون إلا تاريخية، ما دام الإنسان لا ينفك عن تاريخيته وزمنيته"[(٤)].

وحول فهم الآيات القرآنية والخطاب التشريعي يدَّعي أركون صعوبة فهم الآيات القرآنية في الوقت المعاصر، واستحالة تطبيق تشريعاته في عصرنا، وذلك لأن فهم القرآن يستلزم ربطه بوحدة نصية مرتبطة بسلوك النبي صلى الله عليه وسلم وعلاقة فهم العبارة والتصرف المباشر لقائلها[(٥)].

---

(١) أبو زيد، نقد الخطاب الدين، ص٢٠٧.
(٢) طيب تيزيني، النص القرآني، ص١١٥.
(٣) أنور خلوف، القرآن بين التفسير والتأويل والمنطق العقلي، ص١٧.
(٤) رمضان بن رمضان، خصائص التعامل مع التراث الإسلامي لدى محمد أ ركون، من خلال كتابة قراءات في القرآن، ص١٥٣.
(٥) ينظر: محمد أركون، الفكر الإسلامي: قراءة علمية، ترجمة: هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، والمركز العربي، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٩٦م، ص١٨.

ومِمن انحرف في هذا السياق: حسن حنفي بزعمه: "لقد خسرنا الآن بالرجوع إلى النص الخام، وفي اعتمادنا على قال الله، وقال الرسول.. وأصبحنا أسرى النصوص"(1).

إنما الخسارة والضلال هو الكفر بآيات الله، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾، [الكهف: ١٠٣ - ١٠٥].

ويواصل أركون عرض فهمه الجديد لآيات الله تعالى وبأن النصوص الشرعية "تعبر عن روح ثقافة بأكملها، أي ثقافة منغلقة ضمن إطار زماني مضى وانقضى"(2).

ووفق فهم القرآن تاريخياً يدعي طيب تيزيني بأن "النص القرآني أتى ليجيب عن مشكلات بشرية تنتمي إلى زمن تاريخي معين، وحقل جغرافي محدد"(3).

ويدعي العظم بأن: "نصوص القرآن محدودة المعاني، وغير قابلة للتوفيق مع معطيات العلم الجديدة، فهي نصوص تاريخية، قيلت في ظروف ومناسبات حددت معناها ومغزاها"(4).

وما أشبه حالهم بحال المنافقين الذين يُلَبِّسون على الناس الحق بالباطل، وقد فضحهم الله تعالى وكشف زيفهم، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ

---

(1) حسن حنفي، التراث والتجديد، ص١٣٣.
(2) أركون، تاريخية الفكر، ص٧١.
(3) طيب تيزيني، النص القرآني، ص٣٨١.
(4) صادق جلال العظم، نقد الفكر الديني، ص٢٨.

لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾ [البقرة: ٨ – ١٨].

ويحسن الإشارة إلى بعض الكتب الناقدة لكتاب: (نقد الفكر الديني للعظم)[1].

دعوى الأسطورة في تفسير كتاب الله تعالى:

يدعي أركون أن القرآن الكريم (نصاً أسطورياً)[2].

ويساوي بين الخطاب القرآني والتوراة، ويصفه بالخطاب الأسطوري – كما يزعم – فيقول: «إن الحكايات التوراتية والخطاب القرآني هما نموذجان رائعان من نماذج التعبير الميثي (الأسطوري)»[3].

وزعمهم هذا هو عين قول الكافرين الأولين – كما أخبر الله عنهم – قال تعالى: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾﴾ [الفرقان: ٥].

---

(١) ومن تلك الكتب الناقدة: صراع مع الملاحدة حتى العظم، لعبدالرحمن حبنكة، وهوامش على كتاب نقد الفكر الديني، لمحمد حسين آل ياسين؛ والبرهان اليقيني للرد على كتاب نقد الفكر الديني، لجابر حمزة فراج، وغيرهم.

(٢) الفكر الإسلامي، قراءة علمية، مرجع سابق، ص٢٠٢.

(٣) تاريخية الفكر العربي الإسلامي، مرجع سابق، ص٢١٠.

بل ومن جرأته على كتاب الله تعالى: قوله في تقديمه لترجمة "كازيمرسكي" الفرنسية لمعاني القرآن الكريم - كما ينقل ذلك عبدالرزاق هرماس -: «إن القرآن مدعاة للنفور بعرضه غير المنتظم، واستخدامه غير المعتاد للخطاب، وكثرة إيحاءاته الأسطورية»[(١)].

وممن زعم وجود الأساطير في القرآن وأن قصص الأنبياء في القرآن ليست على حقيقتها وإنما هي من باب الحكايات الأسطورية التي قد تصدق وقد لا تصدق: طه حسين، حين قال: «للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضاً، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي، فضلاً عن إثبات هذه القصة التي تحدثنا بهجرة إسماعيل وإبراهيم إلى مكة»[(٢)].

وفي هذا تكذيب لقول الله تعالى - حكاية عن إبراهيم عليه السلام -: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [إبراهيم: ٣٥ - ٣٧].

وقد رد مزاعمه عدد من العلماء والمفكرين المسلمين، وأبطلوا دعاواه[(٣)].

ومحمد أحمد خلف الله[(٤)].

---

(١) مطاعن المستشرقين في ربانية القرآن، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، السنة الرابعة، العدد ٣٨، ربيع الآخر، ١٤٢٠هـ، أغسطس ١٩٩٩م، ص١١٩، الحاشية.

(٢) في الشعر الجاهلي، ص٢٦ - ٢٧.

(٣) ينظر: نقض مطاعن في القرآن لمحمد أحمد عرفة، ونقض كتاب: في الشعر الجاهلي، لمحمد الخضر حسين، ونقد كتاب: في الشعر الجاهلي، لمحمد فريد وجدي، وتحت راية القرآن، لمصطفى صادق الرافعي، وغيرهم.

(٤) الفن القصصي في القرآن الكريم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٥٧م.

التفسيرات الاستشراقية الحديثة لأخبار الغيب في القرآن الكريم:

ينتقد العظم فهم المسلمين المعاصر للغيب في القرآن الكريم، ويقول متهكماً: "ونحن في عصر لم يعد يقبل ذلك، فهل يفترض في المسلم أن يظل إلى اليوم يعتقد بوجود الجن، والملائكة، وإبليس، ويأجوج ومأجوج!"(١).

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝﴾ [الجاثية: ٧ - ٩].

ويوافقه في إلحاده زعيم مدرسة النفاق في هذا العصر أركون في التشنيع على من لا يزالون من المسلمين في هذا العصر يقبلون تفسيرات ما ورد من الغيب في القرآن الكريم كما فهمها الرسول صلى الله عليه وسلم، والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وينادي بفهم جديد فيقول: "ويقبل بسذاجة الوعد بالحياة الأبدية في الآخرة"(٢).

ويتمادى في غيه فيقول: "أليس من الواجب علينا أن نتخلص من السخرية التي تتحدث عن جنة الله المملوءة بالحور العين، وأنهار الخمر والعسل المرتبطة بالخيال الشعري لدى البدو!"(٣).

وقد حذر الله منهم ومن أسلافهم بقوله تعالى: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝﴾ [المنافقون: ٤].

ومن سلسلة الإلحاد يقول تركي الربيعو: "لقد أصبح المسلم يتعرض للإحراج من كثرة حديث القرآن عن اللذات في الجنة والحور العين"(٤).

يعلق مترجم كتبه: هاشم على صالح على موقف أركون من الغيبيات

---

(١) صادق جلال العظم، نقد الفكر الديني، ص٢٦.
(٢) محمد أركون، تاريخية الفكر، ص٨١.
(٣) محمد أركون، قراءات في القرآن، ص١٢.
(٤) تركي علي الربيعو، العنف والمقدس والجنس في الميثولوجيا الإسلامية، ص١٢٩.

فيقول: "يقصد أركون بذلك: أن وعينا الحديث الراهن يعجز عن تصديق وجود مثل هذه الجنات بشكل مادي محسوس، هذا في حين أن وعي الناس في زمن النبي كان منغمساً بالخيال، ولا يجد أية صعوبة في تصور ذلك وعدِّه حقيقة واقعة، لقد كان الوعي آنذاك غير قادر على التفريق بين الأسطورة والتاريخ أو بين العوامل المثالية التصورية والعوامل الواقعية المادية "(١).

ويدعي صعوبة فهم أخبار الغيب في القرآن الكريم في الوقت المعاصر بقوله: "والرسالة القرآنية موجهة إلى أناس بأعيانهم في القرن السابع، وتتضمن ظواهر ميثية تتناسب مع ثقافة ذلك العصر، مثل: الجنة، وإبليس، والشياطين، والملائكة، والطوفان، وعمر نوح، وهي ظواهر بعيدة اليوم عن التصورات الحديثة "(٢).

ويفسر على حرب موقف نصر حامد من آيات القرآن الكريم ويثني في الوقت نفسه على من سبقهما في هذا التفسير الإلحادي فيقول: "يستهدف أبو زيد بالنقد والتحليل خطاب الوحي بجعله مادة لمعرفة نقدية عقلانية، شأنه بذلك شأن أي خطاب بشري، وأي إنتاج معرفي.. مستلهماً موقف طه حسين الذي عدَّه أبو زيد الفدائي الأول في مقاومته للنظرة التقديسية إلى النصوص الدينية "(٣).

ويشطح صادق جلال العظم في تفسيره الإلحادي لأصول الدين في كتاب الله تعالى إذ يقول: "إن كلامي عن الله وإبليس والجن والملائكة والملأ الأعلى لا يلزمني على الإطلاق بالقول: بأن هذه الأسماء تشير إلى مسميات حقيقية موجودة، ولكنها غير مرئية "(٤).

وهذا من الافتراء على الله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ

---

(١) المرجع نفسه، ص٩٩ الحاشية.
(٢) عبدالمجيد الشرفي، الإسلام بين الرسالة والتاريخ، ص٤٥.
(٣) علي حرب، نقد النص، ص٢٠١.
(٤) صادق جلال العظم، نقد الفكر الديني، ص٥٩.

نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنعام: ٢١ - ٢٦].

ويواصل تفسيره الإلحادي بتعليقه على أمر الله الملائكة بالسجود لآدم بأنها من القصص الأسطورية -كما يدعي- فيقول: "يشدد القائلون بالتوافق التام بين الإسلام والعلم أن الإسلام خال من الأساطير والخرافات؛ باعتبار أنه والعلم واحد في النهاية، لنمحص هذا الادعاء التوفيقي بشيء من الدقة بإحالته إلى مسألة محددة تماماً.

جاء في القرآن -مثلاً- أن الله خلق آدم من طين، ثم أمر الملائكة بالسجود له فسجدوا، إلا إبليس؛ مما دعا الله إلى طرده من الجنة، هل تشكل هذه القصة أسطورة أم لا؟ نريد جواباً محدداً وحاسماً من الموافقين وليس خطابة، هل يفترض في المسلم أن يعقد في النصف الثاني من القرن العشرين بأن مثل هذه الحادثة وقعت فعلاً في تاريخ الكون؟ إن كانت هذه القصة القرآنية صادقة صدقاً تاماً وتنطبق على واقع الكون وتاريخه لابد من القول: إنها تتناقض تناقضاً صريحاً مع كل معارفنا العلمية "(١).

﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠].

ويصف أحميدة النيفر منهجية أركون التفكيكية الأنثربولوجية في فهم النص القرآني ويورد على ذلك أمثلة، منها: «تفسير سورة الكهف، حيث ينتهي إلى القول: بأن قصة الفتية الذين آووا إلى الكهف هي من قبيل القصص

---

(١) المرجع نفسه، ص٢٥.

الأسطورية، أي القصص التي تعتني بعبقرية التشكيل والتركيب والإبداع، والمقدرة على الإحياء، وتقديم العبرة للناس، أكثر من اهتمامها بمطابقة الواقع والتاريخ»(١).

وهذا من الاستهزاء والسخرية والجدال بالباطل، كحال الكافرين الذين وصفهم الله تعالى في كتابه: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ۝٦﴾ [غافر: ٥-٦]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ۝٣٥﴾ [غافر: ٣٥].

دعوى النسبية في التفسير:

وإذا كانت النسبية صورة من صور التاريخية فإن التفسير كذلك - على حد زعم هذه المدرسة - يخضع للنسبية، فلا وجود لمعنى نهائي لآيات القرآن الكريم، إذ سيبقى تفسيره متغيراً مع تغير المكان والزمان، ووفقاً لهذا المبدأ يتغير تفسير وفهم ما أخبر الله به في كتابه من قصص الأنبياء وفق تغير الزمان، وفي هذا السياق يقول القمني: "لا شك أن أي مؤمن وأي شاك ستطيب نفسه إن تمكن من تفسير الحكمة الإلهية في إهلاك شعب مقابل ناقة تلدها صخرة، كما لا جدال أن إيجاد تفسير معقول لإفناء قوم نوح في ضوء المعقول الآتي الذي يفرض حرية الاعتقاد سيكون مريحاً لكثير من النفوس الحيرى والقلقة"(٢).

إنما الحيرة والقلق من الإعراض عن ذكر الله، فنفوسهم كما أخبر الله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

---

(١) النص الديني والتراث الإسلامي قراءة نقدية، ص١٧١.

(٢) سيد القمني، الأسطورة والتراث، ص٢٧.

أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ [طه: ١٢٤ - ١٢٧].

ووفقاً لمبدأ النسبية فإن القرآن الكريم ليس له ثوابت، بل هو مجموعة من المتغيرات يقرأ كل عصر فيه نفسه - على حد زعم حسن حنفي-[١].

وهذا من الافتراء والكذب على الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ [النحل: ١٠٤ - ١٠٩].

التفسير الرمزي في المدرسة الاستشراقية الحديثة:

ويدخل في إطار التاريخية ما يسمى بالتفسير الرمزي للقرآن الكريم، فيدعي رواد هذه المدرسة المنحرفة أن لا معنى محدد لآيات القرآن الكريم، بل هو مفتوح على جميع المعاني، فهو كوم من العلامات والرموز[٢].

وإذا لم يكن لآيات كتاب الله معان واضحة ومحددة وأصبح مفتوحاً على جميع المعاني فيمكن كذلك أن يتسع لتأويلات المخالفين للإسلام، ويتكيف مع كل الاتجاهات والأغراض[٣].

---

(١) حسن حنفي، قراءة النص، ص١٧.
(٢) علي حرب، نقد النص، ص٨٧.
(٣) طيب تيزيني، النص القرآني، ص٢٨٥.

وعلى حد زعم طيب تيزيني فإنه من حق غير المسلمين أن يفسروا القرآن بما يوافق ثقافتهم ومعتقداتهم[١].

وتصل هذه المدرسة – حاملة لواء الفهم الجديد للقرآن الكريم – إلى أنَّه لا نهائية للمعنى، وأن تحديد المعنى أو الركون إلى التفسير الحرفي كما يدعي – حسن حنفي – موت للنص[٢]، ولذلك فهم ينادون إلى أن يكون التأويل بلا حدود[٣].

ويدعو إلى إعادة النظر في تراثنا الديني حول تفسير القرآن الكريم – كما يدعي – باستخدام هذه النظرية المادية الغربية[٤].

وهذه النظرية الرمزية في التفسير – في حقيقتها – دعوة إلى تأويل النصوص الدينية بطريقة خيالية ورمزية، تبعد عن المعنى الحرفي المباشر، وتحاول كشف المعاني الخفية وراء النصوص المقدسة – كما يزعمون – وهذا ما سار عليه أبو زيد ومن سار على شاكلته في دعوتهم إلى نزع المضمون الأسطوري الغيبي للقرآن الكريم، ونقله كما يدعي من الوعي الأسطوري إلى الوعي العلمي[٥].

تفسير المسلمين الحرفي – كما يسميه – لآيات القرآن الكريم، ويدعو إلى التفسير الرمزي الأسطوري لآيات القرآن الكريم، وينقم على تفسير المسلمين لحقائق الغيب، فيقول: " إن صورة الإله الملك بعرشه وكرسيه وصولجانه ومملكته وجنوده الملائكة وما زال يتمسك بالدرجة نفسها من الحرفية بالشياطين والجن والسجلات التي تدون فيها الأعمال والأخطر من ذلك تمسكه

---

(١) المرجع نفسه، ص٢٢٦.
(٢) حسن حنفي، قراءة النص، ص١٧.
(٣) عبدالهادي عبدالرحمن، سلطة النص، ص٢٠٢.
(٤) المرجع نفسه، ص٤٩.
(٥) أبو زيد، النص، السلطة الحقيقة، ص٤١.

بحرفية صورة العقاب والثواب وعذاب القبر ونعيمه ومشاهد القيامة والسير على الصراط.. إلى آخر ذلك، كله من تصورات أسطورية "(١).

ولقد طبع الله على قلوب من قالوا بمقالتهم من الكافرين أمثالهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ [النحل: ١٠٤ - ١٠٩].

ويطالب بالتحرر من سلطة النصوص، فيقول: "وقد آن أوان المراجعة والانتقال إلى مرحلة التحرر، لا من سلطة النصوص وحدها، بل من كل سلطة تُعيقُ مسيرة الإنسان في عالمنا، علينا أن نقوم بهذا الآن وفوراً، قبل أن يجرفنا الطوفان "(٢).

وهذا من استحواذ الشيطان والعياذ بالله على هذه الفئة: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المجادلة: ١٩]، ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف: ٣٦]. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾ [محمد: ٢٥].

---

(١) النص السلطة الحقيقة، ص١٣٥.
(٢) الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية، ص١٤٦.

الانحراف في تفسير آيات التشريع:

ومن الانحراف في التفسير الذي وقع فيه عدد من المُحْدثين المتأثرين بالفكر الاستشراقي: الانحراف في تفسير آيات التشريع، والضلال في توجيه مقاصد الشريعة الإسلامية، فهذا عبدالهادي عبدالرحمن يدعي أن الصلاة ليست إلزامية، ولم تكن واجبة، وإنما فرضت لتليين عريكة العربي وتعويده على الطاعة لقائده كما يدعي(١). ويوافقه الصادق النيهوم ويزعم بأن رياضة اليوغا تغني عن الصلاة في هذه الحالة(٢).

وهذا من الارتكاس في الضلال، قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان: ٤٣ - ٤٤].

وأما الزكاة فيدعي العشماوي - الفقيه الجديد - بعدم وجوب الزكاة، وإنما هي اختيارية، كما يزعم(٣).

وفي السياق نفسه يدعي - المتنبئ الجديد - محمد محمود طه بأن الزكاة مقدمة، يحثنا فيها الإسلام على الوصول إلى الشيوعية المطلقة(٤).

وأما حكم الصيام فينصب الشرفي نفسه مفتياً للأمة، إذ يدعي أن الصوم إنما فرض على العربي فقط، لأنه كما يدعي مشروط بالبيئة العربية، ولذلك فالصوم بالنسبة للمسلم غير العربي مجرد دلالة وعبرة دينية(٥).

ويحرم بورقيبه الرئيس التونسي السابق الصوم على شعبه، إذ يدعي بأنه يقلل الإنتاجية(٦).

---

(١) عبدالهادي عبدالرحمن، سلطة النص، ص١١٠ - ١١١.
(٢) الصادق النيهوم، الإسلام في الأسر، ص١٢٧، ١٣٤.
(٣) العشماوي، جوهر الإسلام، ص٧، ٨.
(٤) محمد محمود طه، الرسالة الثانية، ص١٥٥.
(٥) الشرفي، الإسلام بين السياسة والتاريخ، ص٦٣، ٦٤.
(٦) القرضاوي، التطرف العلماني في مواجهة الإسلام، ص١٤٤.

وهل حقق هو ومن تبع فتواه «التقدم العلمي»: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الجاثية: ٧ - ١٠].

ويوافق طيب تيزيني المستشرقين في موقفهم من فريضة الحج فيقول: وأما الحج فهو من الطقوس الوثنية الميثية العربية القديمة التي أقرها الإسلام مراعاة لحال العرب[١].

قال تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ [الكهف: ٥].

ويدعي عبدالهادي عبدالرحمن فهماً جديداً للآيات القرآنية التي جاء فيها أمر تحويل القبلة فيزعم أن تحويل القبلة تعبير عن الرغبة في تعريب الإسلام وتأكيد عروبيته[٢].

ويدعي محمد أركون ومترجم كتبه هاشم صالح فهماً جديداً منحرفاً للشعائر الإسلامية، إذ يزعم أن تحقيق الإسلام لمهمته الروحية قد يحصل دون أن تؤدى الطقوس والشعائر بالضرورة[٣]. ثم يقول: لذلك يجب تحرير الناس من العقلية الشعائرية[٤].

وأما محمد خلف الله فينادي بفهم جديد لرسالة الإسلام إذ يدعي أن الإسلام ثورة عربية خاصة بالعرب، ومن الخطأ - كما يزعم -: أن نعممه[٥].

وهذه من الشعارات البراقة الواهنة أوهن من بيت العنكبوت: ﴿مَثَلُ

---

(١) طيب تيزيني، النص القرآني، ص١٥٤، ١٥٥.
(٢) عبدالهادي عبدالرحمن، سلطة النص، ص١٠٦.
(٣) محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني، ص٣٦.
(٤) المرجع نفسه، ص٣٢٩.
(٥) نقلاً عن: فهمي هويدي، المفترون، ص١٧٠.

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾

[العنكبوت: ٤١ - ٤٣].

نقد المنهجية التاريخية في تفسير القرآن الكريم:

إن الزعم بتبدل معاني القرآن الكريم ودراسته دراسة تاريخية وتطبيق المنهجيات الغربية عليه باعتباره نصاً تاريخياً تطبق عليه المنهجيات النقدية في دراسة النص الأدبي والتاريخي كل ذلك في حقيقته تشكيك في مصداقية تنزل هذا القرآن الكريم من الله تعالى، وتشكيكٌ في كونه كلام الله تعالى، ولكن بأساليب ملتوية وفي ذلك: تشكيك ونفي وطعن في الآيات القرآنية التي تدل على أنه نزل به الروح الأمين، كما وردت بذلك الآيات المستفيضة التي تبين سند نزوله على قلب النبي صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ **[الشعراء ١٩٢-١٩٤].**

وقال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٣﴾﴾ **[آل عمران:٣].**

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ **[النساء:١٣٦].**

وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ **[الفرقان:١].**

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ

مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ [الزمر:٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة:٢٣].

ويقول صلاح يعقوب –في معرض رده على من سلك هذا المسلك–: "إن جعل وظيفة اللغة التلقي –فقط– والتعامل مع النص فضلاً عن أن يكون هذا النص مقدساً من هذا المنطلق يوصلنا إلى أن لسامع النص أن يحمل ألفاظه على ما يشاء من معان يجدها في نفسه، حيث انفصل الكلام عن المتكلم، وعن منزله، وأصبح ملكاً للسامع، يحمله على ما يشاء، فمرة يجعله أسيراً لأسباب النزول، والسياق الاجتماعي، ومرة يجعله مخاطباً لأشخاص وأحداث بعينها، ومرة يحمله على التأويل، ومرة على التحريف، تحرراً من قاعدة اللغويين والأصوليين من أن الوضع قبل الاستعمال والحمل معاً. ولو جاز لكل باحث وسامع أن يحمل الكلام على ما يشاء من مختلف الدلالات يتخير منها ما يروق له لانتفت قيمة اللغة، وفقدت دلالتها، وتاه الناس في مفاهيمها"[(١)].

إن مزاعم القراءة التاريخية للقرآن تنافي كل أصول وقواعد فهم دلالات الآيات القرآنية، وإن فهم دلالات القرآن لابد وأن يكون بدلالات ألفاظه في عصر الوحي، وليس بالدلالات التي طرأت على الألفاظ بعد عصر التنـزيل، والقرآن الكريم نزل بلسان عربي.

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ [يوسف:٢].

وقال تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء:١٩٥].

---

(١) العلمانيون والقرآن، مرجع سابق، ص١٤٨.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل:١٠٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾ [فصلت:٤٤].

فمن أراد تفهمه من جهة لسان العرب يفهمه، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة[١].

ولقد حظيت الألفاظ ومعانيها ودلالاتها باهتمام كبير لدى علماء الأصول لما لدلالة الألفاظ من أهمية في فهم الأحكام الشرعية، فَتَتَبَع العلماء اللفظ مفرداً ومركباً ومطلقاً ومقيداً، خاصاً وعاماً، وقَعَّدوا لذلك القواعد والأصول[٢].

ولا خلاف بين الأصوليين في صحة اعتبار المعنى الأصلي في الدلالة على الأحكام، كما يقرر الشاطبي[٣].

ويرد سعيد الغامدي على من يدعي تاريخية النص القرآني ويكشف حقيقة مزاعمهم قائلاً: «إن ما يسمى (تاريخية النص)، و (التفسير التاريخي للنص) ينطوي -في الحقيقة- على عدة مضامين، هي:

١ - نفي حقيقة الوحي.

٢ - جعل الوحي أسطورة من الأساطير.

---

(١) ينظر: الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق: محمد عبدالقادر الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ٢/ ٤٩.

(٢) ينظر: الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، والشاطبي، الموافقات، والشافعي، الرسالة، والغزالي، المستصفى من علم الأصول، وابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين.

(٣) ينظر: الموافقات، مرجع سابق، ٢/ ٤٤ - ٥٧.

٣ - التحرر من سلطة الوحي وأحكامه.

٤ - إلغاء أسبقية المعنى، وهذا يعني القضاء على النص تماماً.

٥ - أنه لا حقيقة ثابتة للنص، بل إن كان فيه حقيقة فهي نسبية زمنية.

٦ - نفي القداسة عن النص، ونقله إلى حقل المناقشة والنقد الهادم، والدراسات اللغوية البنيوية والاجتماعية المادية المختلفة.

٧ - القول ببشرية النص، وأنه ليس من وحي الله تعالى، فلا عصمة له، ولا حقيقة لعصمة المبلغ»(١).

وهل الزعم باختلاف المعنى باختلاف الزمن إلا طعنٌ في حفظ الله لكتابه، في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر:٩]. فلا معنى لهذه الآية وغيرها من الآيات الدالة على حفظ الله لكتابه إن كان الحفظ حفظاً للألفاظ، إذا كانت تلك الألفاظ قد فقدت معانيها ودلالاتها بانتهاء عصر النبوة - كما يدعون- في كتاباتهم.

نقد التفسيرات النسبية والرمزية في التفسير:

كيف يُسوِّغُ أتباع هذه المدرسة لأنفسهم تبديل معاني وألفاظ القرآن مع مرور الزمان والمكان، والله قد حظر على نبيه أن يُبَدِّل شيئاً من القرآن من تلقاء نفسه قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٥ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٦﴾ [يونس:١٥-١٦].

وفي معرض رد التهامي نقرة على من زعم وجود الرمزية والخيالية في

---

(١) الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها، ٢/١٠٩٨.

القرآن يبدأ بإيضاح مفهوم الرمزية في الأدب الحديث، فيقول: "الرمزية – في الاصطلاح الأدبي الحديث – جعل الكلمة كالصدى الآتي من بعيد، فهي لا تقصد لذاتها ولا تستعمل للمعنى الذي وضعت له، ولكن لعلاقتها بحقيقة أخرى تثيرها هذه الكلمة في النفس.

وقد جعل الرمزيون لكل ظاهرة نفسية أو فزيولوجية علاقة بالعالم المثالي، فالنهر يرمز إلى القدر، والشمس الغاربة ترمز إلى المجد الغارق، وهكذا... فالرمزية في مفهومها الحديث هي المثالية، والغموض أقرب منها إلى الواقعية والوضوح، وهي بهذا الاعتبار تتجاوز عقول الذين جاء القرآن لهدايتهم، وخاطبهم بما يفهمون"[(١)].

والتفسيرات الرمزية لدى أصحاب هذه المدرسة امتدادٌ لمذهب الرمزية لدى فرويد، وماركس، ونيتشه، والتي ترى أن الرمز حقيقة زائفة لا يجب الوثوق به بل يجب إزالتها وصولاً إلى المعنى المختبئ وراءها.

نقد التفسيرات الأسطورية:

إن دعوى وجود الأسطورة في كتاب الله تعالى إنما هي مجرد وسيلة إلحادية للثورة على كل غيبي مقدس، وأن الوحي الإلهي – كما يزعمون – مجرد أسطورة لا حقيقة له.

يذكر الله شبهة من وصفوا القرآن الكريم بالأساطير ويرد عليهم في مواطن عدة قال تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٥ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝٦﴾ [الفرقان: ٥ – ٦].

قال تعالى: ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ۝٤٢﴾[فصلت: ٤٢].

---

(١) سيكولوجية القصة، مرجع سابق، ص١٦٧ – ١٦٨.

وأصل الأسطورة الخرافة والكذب والوهم كما بينها التهامي نقرة بقوله: "وأصل الأسطورة: خرافة اخترعها خيال الإنسان؛ لتفسير العلاقة التي تربطه بالوجود، وتعليل ما يجري فيه من بعض الظواهر التي عجز عقله عن معرفة أسبابها الحقيقة، فانساق مع الأوهام"(١).

ومن خلال عرض انحرافات المدرسة الاستشراقية الحديثة من أبناء المسلمين يتجلى لنا مدى انحراف تلك الأفكار وبشاعتها، ولا شك بأنهم فاقوا المستشرقين حقداً على الإسلام وأهله، وفي هذا الميدان - من الانتكاسة في الضلال - فاق التلميذ أستاذه سوءاً وضلالاً.

---

(١) المرجع نفسه، ص١٥٩.

الخاتمة وأبرز النتائج

وبعد هذه الجولة في كشف شبهات المستشرقين ومن تابعهم في كتاب الله تعالى وتفسيره نأتي إلى نكر أبرز النتائج في هذه الخاتمة:

١ - لم تتسم أبحاث المستشرقين في مجال التفسير بالعمق العلمي، بل غلب عليها السطحية والجهل بأصول البحث في أصول التفسير، وظهر فيها أثر خلفياتهم العدائية للإسلام.

٢ - يصور المستشرقون الفرق المنحرفة والخارجين عن الإسلام المثل الأعلى للإسلام، وينسبون آراءهم الضالة إلى الإسلام.

٣ - تصوير الخلافات في التفسير بين الفرق خلافاً واضطراباً في الشريعة الإسلامية، بل اضطراباً وتناقضاً في القرآن نفسه - على حد زعمهم -.

٤ - الاحتفاء بالدعاوى الباطلة والأقوال المنحرفة.

٥ - بدأت الدراسات الاستشراقية الحديثة تدعو إلى دراسة القرآن الكريم دراسة أدبية، يطبق في ذلك مناهج النقد الأدبي في دراسة القرآن الكريم دون الالتفات إلى قداسة كتاب الله تعالى.

٦ - دعا أصحاب المدرسة الاستشراقية المتأثرة بالاستشراق إلى إخضاع تفسير القرآن الكريم لمناهج التحليل في العلوم الإنسانية.

٧ - إذا كان عِداء المستشرقين واضحاً وجلياً في مواقفهم من الإسلام، فإن خطورة من سار على نهجهم من تلامذتهم ممن ينتسبون للإسلام أشد خطراً وأكثر أثراً.

٨ - حاول أتباع المدرسة الاستشراقية الحديثة استخدام أساليب ملتوية في الطعن في كتاب الله تعالى، زاعمين حمل لواء التجديد في التفسير والفهم لكتاب الله تعالى، مدعين الوصول إلى مناهج جديدة في التفسير والتأويل، لم يصل إليها أحد من قبلهم، ناقمين على مناهج المستشرقين،

وفي حقيقة أمرهم لم يخرجوا عن منهج المدرسة الاستشراقية كثيراً، وإنما يرددون ما سمعوه ودرسوه عنهم.

وبعد، فهذا ما يسره الله لي وأعانني عليه، فالحمد لله أولاً وآخراً، ولعلي أكون قد أديت جزءاً من واجبي في المنافحة عن هذا الدين ورد كيد الطاعنين في كتاب الله تعالى ممن ينتسبون للإسلام من أصحاب المدرسة الاستشراقية الحديثة، وقد بينت بعض الأخطاء المنهجية التي وقع فيها المستشرقون وأتباعهم في موقفهم من القرآن وتفسيره.

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يجعل عملي هذا وسائر أعمالي وأقوالي خالصة لوجهه، وأن ينفع الله بهذا البحث، وأن ينفعني به في دنياي وآخرتي، وأن يحقق لي به ما تصبو إليه نفسي وتسمو إليه همتي، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحابته أجمعين.

فهـــــــــرس المصادر والمراجع

١ – إبراهيم رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

٢ – ابن حزم، أبو محمد علي بن محمد، إحكام الأحكام في أصول الأحكام، دار السعادة، مصر.

٣ – ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، دار التراث، القاهرة، ط٢، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

٤ – ابن قيم الجوزية، أعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

٥ – أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار المعارف، القاهرة.

٦ – أدونيس، الثابت والمتحول، دار العودة، بيروت، ط ٤، ١٩٨٦ الجزء الثاني و ط ١٩٧٧ والجزء الأول ط ١٩٧٤ والجزء الثالث ١٩٧٩.

٧ – بسام داود عجك، التراث الإسلامي والاستشراق، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، العدد السابع، ١٩٩٠م

٨ – بلاشير، تاريخ الأدب العربي، ترجمة: إبراهيم الكيلاني، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٨م.

٩ – التهامي نقرة، سيكولوجية القصة، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٧٤م.

١٠– جابر حمزة فراج، البرهان اليقيني للرد على كتاب نقد الفكر الديني، المكتب التجاري، بيروت.

١١– جولد تسهير، مذاهب التفسير الإسلامي، ترجمة: علي حسن عبدالقادر، مطبعة العلوم، القاهرة، ط١، ١٩٤٤م.

١٢- الحاكم، محمد عبدالله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا.

١٣- حسن حنفي، التراث والتجديد، دار التنوير للطباعة والنشر، الطبعة العربية الأولى، ١٩٨١م.

١٤- الذهبي، أبو عبدالله شمس الدين، تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٥- رفعت فوزي عبدالمطلب، نقض كتاب نصر أبو زيد ودحض شبهاته، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٩٦م.

١٦- رودي بارت، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ترجمة: د. مصطفى ماهر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة.

١٧- ساسي سالم الحاج، الظاهرة الاستشراقية، مركز دراسات العالم الإسلامي، ط١، ١٩٩١م.

١٨- سعيد بن ناصر الغامدي، الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها، دار الأندلس الخضراء، جدة، ط٢، ١٤٢٥هـ.

١٩- سيد محمود القمني، الأسطورة والتراث - المركز المصري لبحوث الحضارة ط ٣، ١٩٩٩ القاهرة.

٢٠- السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، دار إحياء العلوم، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

٢١- الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق:محمد عبدالقادر الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٢٢- الصادق النيهوم،الإسلام في الأسر - رياض الريس للكتب والنشر - لندن - بيروت ط ٢ / ١٩٩٣.

٢٣- صادق جلال العظم، نقد الفكر الديني، دار الطليعة، بيروت، ط ٦، ١٩٨٨م.

٢٤- صلاح يعقوب، العلمانيون والقرآن، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، كلية الدعوة وأصول الدين.

٢٥- طه نجم، علم اجتماع المعرفة، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ١٩٩٦م.

٢٦- عبد المنعم الحفني، المعجم الفلسفي، الدار الشرقية، القاهرة ط ١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٢٧- عبد الهادي عبد الرحمن، سلطة النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٣م.

٢٨- عبدالرزاق هرماس، تفسير القرآن الكريم في كتابات المستشرقين، مجلة البحوث الإسلامية، إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، العدد ٦٧.

٢٩- عبدالرزاق هرماس، مطاعن المستشرقين في ربانية القرآن، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، السنة الرابعة عشر، العدد الثامن والثلاثون، ربيع الآخر ١٤٢٠هـ، أغسطس ١٩٩٩م.

٣٠- عبدالستار الحلوجي، جهود المستشرقين في مجال التكشيف الإسلامي، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد ٦، ١٣٩٦/ ١٩٧٦م.

٣١- عبدالعظيم الديب، المستشرقون والتراث، مكتبة ابن تيمية، المحرق، البحرين، ط١، ١٤٠٦ - ١٩٨٦م.

٣٢- علاء الدين مصطفى أنور، أزمة المنهج في العلوم الإنسانية، مجلة المسلم المعاصر، عدد (٥٥ - ٥٦) السنة الرابعة عشر، ١٩٩٠م.

٣٣- عمر إبراهيم رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، دار طيبة، الرياض.

٣٤- مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، القاهرة، مطبعة دار البيان، ١٩٧٠م.

٣٥- محجوب كردي، منهجية علم الاجتماع المعرفي في كتابات بعض المستشرقين عن العقيدة الإسلامية، ضمن كتاب:دراسات استشراقية

وحضارية، مركز الدراسات الاستشراقية والحضارية، كلية الدعوة بالمدينة المنورة، فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الأول ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٣٦- محمد أحمد خلف الله، الفن القصص في القرآن الكريم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٥٧م.

٣٧- محمد أركون حول الأنثروبولوجيا الدينية - نحو تقييم واستلهام جديدين للفكر الإسلامي، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد ٢٩، ١٩٨٤م.

٣٨- محمد أركون، الفكر الإسلامي، قراءة علمية، ترجمة: هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، والمركز العربي، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٩٦م

٣٩- محمد أركون، الفكر الإسلامي، نقد واجتهاد، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، ط٣ ١٩٩٨م.

٤٠- محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ترجمة:هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، والمركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٩٦م.

٤١- محمد بن صالح العثيمين، شرح مقدمة التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية، مدار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٦هـ.

٤٢- محمد حسن آل ياسين، هوامش على كتاب نقد الفكر الديني، دار النفائس، بيروت، ط٧، ١٩٨٣م.

٤٣- محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط٢، ١٣٩٦هـ.

٤٤- محمد حسين علي الصغير، المستشرقون والدراسات القرآنية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م

٤٥- محمد خليفة، الاستشراق والقرآن العظيم. ترجمة: مروان عبد الصبور شاهين، دار الاعتصام، القاهرة، ط١، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

٤٦- محمد دراز، النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن، دار إحياء التراث الإسلامي، قطر، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٤٧- محمد سعيد العشماوي، جوهر الإسلام – سينا للنشر – القاهرة ط ٢ / ١٩٩٢ م.

٤٨- محمد صالح البنداق، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٤٩- محمد عوني عبدالرؤوف، جهود المستشرقين في التراث العربي بين التحقيق والترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٤م، ط١، القاهرة.

٥٠- محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري.

٥١- محمود محمد طه، الرسالة الثانية من الإسلام – أم درمان – السودان ط ٤ / ١٩٣١ هـ ١٩٧١ م دار الطبعة الأولى صدرت منه سنة ١٩٦٧ م.

٥٢- المعجم الوسيط لعدد من الأساتذة بإشراف حسن علي عطية، ومحمد شوقي أمين.

٥٣- ميشال جحا، الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، معهد الإنماء العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٢م.

٥٤- نائلة السليني، تاريخية التفسير القرآني، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط ١، ٢٠٠٢ م وهي في أصلها رسالة دكتوراه في كلية الآداب بمنوبة، تونس.

٥٥- نبيل السمالوطي، التوجيه الإسلامي وصراع المنطلقات والنظريات في علم الاجتماع، دراسة نقدية في علم اجتماع المعرفة، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ١٩٩٦م.

٥٦- نبيل رمزي، علم اجتماع المعرفة، المدخل والمنظورات، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ط١، ١٩٩١م.

٥٧- نجيب العقيقي، المستشرقون، دار المعارف، القاهرة، ط٤.

٥٨- طه حسين، في الشعر الجاهلي، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس ط ٣ / ٢٠٠٠ م

٥٩- عبد المجيد الشرفي،الإسلام بين الرسالة والتاريخ، دار الطليعة والنشر، بيروت ط١، ٢٠٠١ م.

٦٠- علي حرب، نقد النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء ط١، ١٩٩٣م.

٦١- ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، تحقيق محمود محمد محمود نصار – مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة دط، دت.

٦٢- الطاهر الحداد، امرأتنا في الشريعة والمجتمع، الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٧٢م، ط ٢.